اسمها ريناتا

اسمها ريناتا

رواية

حسام الخطيب

اسم الكتاب: اسمها ريناتا
اسم الكاتب: حسام الخطيب
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: فارس حسن
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – يناير ٢٠٢٠ م
رقم الإيداع: 2020 / 4396

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

الإهداء

إلى التائهون في الدروب

إلى أسارى الذنوب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ
أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن
رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾

صدق الله العظيم

الفصل الأول
(السقوط)

داعب شعيرات ذقنه المهذبة في شرود وهو يتطلع إلي نفسه أمام المرآه أو ربما نفسه هي التي كانت تتطلع له، هذه المرة عليه فعلها، هو ليس مثاليًا ويعرف أنه مقدم علي خطيئة كبري ولكنه لا يريد أن تكون لحيته شاهدًا عليها، تلك التي حفظت توازنه كرجل طوال ثلاثين عامًا ، لابد أن تغادر وجهه الأثم الأن إلي غير رجعة.

لم تنبت لحيته بسهولة، بل مكث يربيها طوال عشر سنوات اتسع فيها صدره للخير والشر ولكنها كانت دائما تنهاه عن الكثير من الذنوب والسقطات، تذكر تلك المقولة الشهيرة التي سمعها من شيخه في مقتبل عمره وهي "ربها تربيك" كان ساعتها شابًا صغيرًا ويريد تربية لحيته ولكنه خشي أن يفعل فعلا شائنا فيشير إليه الناس قائلين " انظروا الشيخ صاحب اللحية المتظاهر بالتدين ماذا يفعل " يومها باح بما يعتمل بصدره إلي شيخه، ذلك الرجل الذي تجاوز الستين عمرًا واختزل بين جنبات عقله علوم ألف عام من الدين ، يومها تبسم الشيخ وقال له هذه العبارة وتركه يؤل معناها بنفسه

"ربها تربيك"

أي أنك حتي لو لم تكن ملتزمًا فبمجرد تربيتك للحيتك كمظهر تدين فأنها سوف تنهاك عن فعل الذنوب خشية أن تشين دينك بها.

ربما الشيخ علي صواب وربما هو حسن النية والظن أكثر مما ينبغي، تلك اللحي لم تمنع ولن تمنع أصحابها أبدا من أكل الحقوق ومعاقرة الخمر وحتي عن إتيان النساء في الحرام ، هناك قول للمتنبي يقول

" لا تغرنك اللحي والصور ، تسعة أعشار ما تري بقر"

التدين نفسه مهما بلغت مظاهره وشدته ليس ينهي الإنسان عن فعل المعاصي ولكنه فقط يمنعه من الإستمتاع بها كما يجب ، هو يتذكر صاحبه (عمر) ذلك الذي كان يبالغ في التمسك بأصول وطقوس العبادات أشد المبالغة حتي أنه يكرر الوضوء إذا لامس ثوبه شيء ، أي شيء، كان هو نفسه (عمر) الذي أقام علاقة مع إمرأة متزوجة والأدهي أنه كان صديقا لزوجها، بالطبع هو علم بالأمر ولكنه لم يشأ فضح ستر الثلاثة طالما أن الله لم يفضح سترهم بنفسه، لم يخشي هو علي الخاطئان ولكنه خشي من وقع الفضيحة علي الزوج المسكين النائم في غفلته والمتسربل بجهله.

وقع الفضيحة في المدينة يختلف عن القرية، المدينة أحداثها سريعة متلاحقة ولا يلبث الحديث علي أفواه الناس أكثر من يوم وليلة ، أما في قرية كقريته رغم كثرة عدد سكانها فعمر الفضيحة من عمر مرتكبيها بل وتطال أبنائهم وأحفادهم في بعض الأحيان.

ندم أنه تذكر (عمر) فما فعله صديقه الأثم يوشك هو علي فعل أشد منه، علي الأقل (عمر) ارتكبها مع إمرأة يعشقها وتعشقه وبدون مقابل ، أما هو الأن فعلي بعد ساعات من لقاء فتاة لا يعرفها ولا تعرفه مثل أي حيوانان تقابلا في منتصف طريق، ليهبها مالًا كان أولي به أهل بيته أو حتي بطون الفقراء مقابل أن تهبه جسدها لساعة شهوة، هذا يجعله في مرتبة أدني من (عمر).

عشر سنوات مرت بين سعيه في بناء جدار أخلاقه وإلتزامه وبين شروعه في هدم نفس ذات الجدار ويا لسخرية القدر، ما أقامه بجهد وبطء ها هو يهدمه بسرعة وبسهولة .

تري هل كان العيب في الجدار منذ البداية فكان هشا متهالكا بغير أساس ،أم العيب في الباني نفسه فلم يحسن بناء جداره، أم أن عواصف الخطيئة في الزمن الحديث كانت أقوي من أي جدار.

أغلب الظن أنه ليس شيئا من كل هذا، فقط الجدار كان لا يرتكن إلي أي شيء أخر، جدار وحيد، بلا أي جدران أخري تؤازره وتدعمه.

هو لم يكن يفكر في الخطيئة حينما كان بصحبه أهله وأخواته، كان مرأي أخواته البنات الثلاثة ينهاه عن ارتكاب الحب المحرم مع أية فتاة رغم توافر الفرصة أمامه عدة مرات.

يذكر أنه في أوائل سنين مراهقته ورغم قلة ادراكه في تلك الفترة اصطحبه بعض أصدقائه لقضاء وطرهم من عاهرة القرية ولابد لكل قرية من عاهرة، لابد للشريفات من جدار يرجمنه كل صباح ومساء، كان اسمها (عائشة) وكانت قد تجاوزت الأربعين بقليل، البعض يقول انها أرملة والبعض يظنها مطلقة ولكن الكل يجذم أنه قد مر بين ساقيها كتائب من الذكور مختلفة الأحجام والأشكال.

كانت خدماتها غير مكلفة وبضع روبيات كافية لتفتح لك ما بين ساقيها ولو زدتها قليلا لأعطتك خدمات أخري ليس أقلها ان تعطيك ظهرها لتمتطيه.

جمع أصحابه نقودا من مصروف دراستهم الهزيل طوال شهور، وذهبوا إلي المرأة يختبرون أولي براعم فحولتهم، لم تطردهم المرأة رغم حضورهم في منتصف النهار ورغم حضورهم جميعا ولكنها طلبت منهم أن يدخلوا عليها الواحد تلو الأخر، لم يمكث أكثرهم قوة أكثر من خمسة دقائق بالداخل، المرأة كانت خبيرة بلا شك ولا وقت لديها تضعيه، كانت تعتصر الواحد منهم فتخذله صلابته في دقائق وتعيد الكرة من جديد.

حتي أتي دوره، دخل وجلا، كان خائفا منها وخائفا من أن يعلم أحد بما سيفعله، رؤية تلك الغابة السوداء التي ما بين جبال ساقيها لم يشجعه كثيرا كذلك، تلك الغابة توشك أن تبتلعه ليضيع بداخلها، ليتعرق جبينه ثم يهرع بالعدو مبتعدا وسط ضحكات أصدقائه، أحيانا تكون الشجاعة في الهروب وليست في الإقدام وهو كان حينها شجاعا كفاية ليهرب.

لم يكررها وحاول تحصين نفسه بكل شيء، زاد من صلاته وصومه، تقرب من أصدقاء جدد شعر أنهم أكثر التزاما، وغير مظهره الخارجي ليوحي أنه متدين حتي يلزم نفسه بذلك.

" إحذر من المدينة يا (عدنان)

كانت هذه هي كلمات شيخه المقتضبة له، لا يفهم طريقة الشيوخ العالمين ببواطن الأمور هذه، يستوي فيها الشيخ المسلم بالراهب البوذي، يمنحونك كلمات وعبارات مقتضبة ويتركون لك حرية التفسير، يعطونك أحيانا أسئلة لتجيب عنها بنفسك وأنت قد اتيت لهم من بحر التيه فى الإجابات الخاطئة وتبحث عن إجابة صحيحة.

كان الخروج من القرية الصغيرة في (بيشاور) إلي العاصمة الباكستانية (إسلام اباد) بمثابة الخروج من الهدوء إلي الصخب، ومن صحبة فتاة بريئة تلعب علي العشب إلي رفقة إمراة لعوب تمرح في الفراش.

(إسلام اباد) جميلة مغرية مليئة بالملذات،بها كل ما تود أن تكونه وما ترفض أن تكونه ، إذا اردت أن تكون مستقيما ملتزما توجه إلي ذلك المكان، هؤلاء هم أصحابك وهذا هو سبيلك، ولو أردت ان تتمرغ في المجون فاذهب إلي ذلك المكان وهؤلاء هم ندمائك وهذا هو طريقك.

ولكنه التزم بتحذير شيخه وبقية من قوي إلتزام كانت تموج بداخله، كان يقترب فقط من الخطاة ليراهم ويتحسر علي حالهم، حاول أن ينشغل بهدفه الأكبر فى أن يصير طبيا محترفا، مواد الدراسة الجديدة صعبة بكلية الطب هناك وتحتاج إلي تركيز كبير، وضع صورا لأساطين الطب في العالم في غرفة استذكاره لعلها تلهمه، فرش سجادة صلاة لم ينزعها من مكانها طوال شهور إقامته هناك حتي تذكره بضرورة الإنضباط، ومارس الرياضة بإتظام حتي تصرف عنه شهوته ، ولكنها لم تفعل، ظلت شهوته متقدة ولكن الرياضة منحته جسدا رياضيا قويا.

مرت السنوات وأجتاز دراسته بنجاح كبير ثم عمل بتكليف بسيط في إحدي القري النائية في (لاهور) كان قد تخصص في طب النساء والولادة.

والحق أنه كان خبيثا في ذلك.

هو رمي من وراء تخصصه إلي عدة اهداف بعضها بريء والأخر خبيث والعجيب أنها متناقضة مع بعضها البعض، فمن ناحية سيرضي شهوته بحكم تخصصه ويتمكن من الإطلاع علي جسد المراة عاريا من كل شيء، بل ويطلع علي أعضائها الحساسة دون خشية من أحد وربما لامس شيئا هنا أو هناك دون أن يفسر الأمر بطريقة سيئة.

ومن ناحية أخري كان يري أن ذلك التخصص سيجعله ينفر من النساء والمرأة بشكل ما فهو سيري النساء المريضات ، سيعيش ما بين حيض ونفاس وتشوهات في الأعضاء، هو قد رأي ومارس عملية ولادة النساء ويعرف أنه لا

أحد أبدا سيصدق أن المراة ساعتها تكون كائنا بشعا لا تشعر نحوه بأي شهوة علي الأطلاق.

وما بين الإثنان عقله أختار هذا التخصص لأنه يعرف أن أهم سمعة يحافظ عليها طبيب النساء والولادة ألا يتورط فى أي علاقات غير مشروعة مع النساء لأن ذلك سيؤذي سمعته المهنية.

كانت أجساد القرويات في (لاهور) كما توقعها مترهلة، غير جذابة وتدعو بالنفور وقلما مرت عليه فتاة بضة من التي يحب النظر إلى جسدها.

صاح به صاحبه (عمر) ممازحا ذات مرة :

- ألا يثير شهوتك النظر إلي مكمن كنوز المرأة؟

احتقن وجهه ساعتها وقد أحس أن صديقه قد نفذ إلي مستودع أسرار روحه فقال غاضبا :

- أنا طبيب وقد أقسمت قسم أبقراط.

ضحك (عمر) ساعتها حتي استلقي علي ظهره وهو يقول :

- يا عزيزي (عدنان) كلنا رجال وقسم أبقراط لن يكون أشد من قسم الله ، تمتع فأنت لديك رخصة للتمتع ولن يشك بك أحد.

ولكن رغم تلميح صديقه لم يفعلها، أصر أن يبقي صامدًا قويًا ملتزمًا، ولكن تلك القطرة البسيطة من الدعوة للرذيلة تسربت إلي جدرا روحه العظيم، وما ينهار الجبل إلا من سقوط بنات المطر عليه علي مر الزمان.

ظل يتنقل بين مدينة وأخري وأسعفه حظه بالإستقرار في مدينة (إسلام أباد) مرة أخري حيث تمكن من إنهاء دراساته العليا، وحينها قابل (شهيدة).

كانت طبيبة أخري أصغر منه بعام وأندرجت في أول عمل لها بالمستشفي، من عائله تماثله مكانة ليست من بنات الأغنياء أو العائلات الباكستانية الأصيلة وما هي إلا أيام من التعارف ليجد نفسه وقد تقدم لها يطلب منها الزواج منه.

كانت حسناء سمراء البشرة وزادها حجابها فتنة وسحرُا، وشعر معها أنها هي من ستمنحه العفاف، دامت خطوبتهما شهران فقط، لم يجرؤ فيها علي مصافحتها باليد خشية أن يكسر جدار التزامه ولم تبدي هي أيضا أي عاطفة جسدية نحوه، حتي ما إن تم الزواج واختلي كل منهما بالأخر أنطلق بركان من الكبت إختزناه طوال سنين ليحرق كل منهما الأخر.

الحقيقة أنها كانت مذهلة بالفراش ولكنها كانت تقليدية ، كل ما تخيله طوال سنوات عن روعة العلاقة وسحرها تبخر بعد أول ممارسة، وبينما هي تغسل بدنها المتسخ بدأ هو يشعر أنه لم يختلف شيئًا عما قبل الزواج ، فقط هو أختبر التجربة ولكن التجربة المختبرة لم ترتقي إلى سقف طموحه.

شعر أن كل الرجال والنساء الذي يتحدثون عن روعة ممارسة العلاقة الحميمية كاذبون، أو مدعون، ليس في العلاقة الجسدية أي لذة من أي نوع، ولكن مع الوقت بدأت تأتيه فكرة أخري.

ربما لهذا الأمر لذة ولكن الشريك الذي ارتبط به لا يعرف كيف يمنحه هذه اللذة، هناك تجارب حسية كثيرة تأبي (شهيدة) أن تشاركه إياها بدعوي التقزز او التحريم، يتظاهر هو أنه كان يمزح حينما طلب منها هذه التجارب ولكنه في الحقيقة كان يريد ممارستها بكل ما أوتي من صدق وجدية .

ولهذا بدأت جنة إصطناعية تتشكل في خياله منحته شعورا أنه لازال بإمكانه الإستمتاع أكثر، هناك حدائق نساء لم يزرها وفاكهة محرمة لم يذقها.

بدأت علاقته ب (شهيدة) تفتر عقب انجابهما طفلهما الأول (عظيم) بدأت تهمله لأيام وأسابيع ثم أتت طفلتهما الثانية (هينا) لتطمر التراب علي ما كان من سحر العلاقة.

كان جسده مازال متوقدا بل ويشعر أن قوته وفحولته تزيد ولكن لا يوجد تصريف لتلك الشهوة، لمح مرة علي سبيل المزاح لزوجته عن رغبته في الاقتران بأخري، نظرت له واجمة قبل ان تشير الي باب المسكن قائلة :

" هي تدخل ، أنا أخرج"

المعادلة بسيطة لديها، حقك في الزواج لن أنكره ولكن حقي في الخروج من حياتك مشروط ولن أخرج وحدي ، سأخذ معي أبنائك معي وستراهم بمواعيد محددة وفي اماكن معينة

التقم الرسالة كحجر في فمه وجاهد في المبالغة بإظهار حبه ل (شهيدة) حتي ينسيها هذا المزاح الجاد من طرفه ونست أو تظاهرت بالنسيان، فذاكرة النساء لا تعرف الزهايمر.

بدأ يجد صدي لثقب بدأ يتسع في جدار التزامه ، صار يتلذذ بصحبة الخطأة ، زميله الطبيب (مرتضي) يتفاخر أمامه بأن تلك المريضة الحسناء التي تعمل بالبنك قد دعته إلي شقتها الفاخرة لتسقيه من رحيق جسدها ما لذ وطاب، لم ينكر فعل صديقه، ابتسم ولم يعلق ولكنه طوال الليل أخذ يستدعي صورة المريضة وما فعلته مع الطبيب العابث، والخيال دائما يكون أكثر مبالغة من الحقيقة فأضاف الي ما سمعه أشياءًا وأشياء من واقع خياله المتأزم.

وفتحت شهيته أكثر لمثل تلك الأحاديث والعجيب أن مجتمع الأطباء مليء بها، علاقة الأطباء بالمريضات وعلاقتهم بالممرضات كذلك، أحاديث فضيحة، بدأت يده تتسلل رغما عنه ليكتب علي الأنترنت عن قصص جنسية مكتوبة بإعتبارها أقل تحريمًا فهي لا تحوي صور أو فيديوهات، كان يقفز ببصره سريعا علي النص ويقرأ عن قصص جنسية بين رجل وجارته ثم رجل وخطيبته ثم عن جنس حيواني بوهيمي بين زوج وزوجته، كان مثل الشخص الذي قرر أن يجرب المخدرات ولكن علي مضض، ليجرب جرعة صغيرة من مخدر قليل المفعول ولكن الإدمان لا يتوقف ، لنجرب جرعة أكبر ثم لنجرب مخدر أقوي، وهكذا سقط رغما عنه في بحر من القصص الجنسية وأصبح يبحث عنها بنهم ، بل ويمل

من التقليدي منها فبدأ يبحث عن قصص الجنس بين المثليين وكذلك بين المحارم ثم عن قصص الاغتصاب ثم سقط في فخ الصور.

كان أول مرة رأي صورة لأمراة عارية وهو في سنة الحادية عشر،أراها له صديقه بالمدرسة وقد اقتطعها للتو من مجلة او لعلها أتت ملفوفة مع ثمرة تفاح مستورد من الولايات المتحدة الأمريكية، لم تكن صورة فجة ولكنها فتحت عيناه علي ذلك العالم الساحر.

وها هو الأن يري صورة لفتاة مكتنزة وكانها حصان بري يرفض الترويض مرفقة مع إحدي القصص ، أحيت به بركانا من اللهب والشغف فمضي مأخوذا إلي سحر الصور

صورة واحدة

أعقبها اثنان

ثم ثلاثة

وعشرة

ومائة

وألف

حتي فقد القدرة علي الإحصاء ، كانت بعض الصور متحركة فقادته إلي عالم الأفلام ومن هناك لم يعد للمدمن أن يعود.

إجتهد في إخفاء أثار بحثه علي الأنترنت عن كل الناس وعلي الأخص زوجته، كان هذا عالمه السري الخاص والمثير وكان يمني نفسه أنه مع الوقت سيتوقف عن ذلك في سن معينة ودعم ظنه هذا صحوات إيمانية كانت تمر به بين طور وأخر فيبالغ في التزامه أو في رفض تلك الأمور شكلًا وموضوعًا.

ولكن تلك الصور وتلك الأفلام، ملايين النساء اللاتي فتحن عيناه علي ثمار فاكهة غير العنب الحصرم الذي لديه بالمنزل بدأت تتداعي كمطرقة علي جدرا إلتزامه فصار واهنًا، حاول أن يرمم ذلك الجدار عدة مرات ولكنه كان يعلم أنه علي وشك التداعي يوما ما.

ربما في أعماق نفسه تمني هو أن يتداعي ذلك الجدار لينطلق بعده إلي غابة النساء كأي صياد محترف.

شعر أه بدأ يضيع من نفسه شيئًا فشيئًا ، هو لم يعد متسقا مع نفسه، ذلك المظهر الملتزم والحديث الراقي والأسرة المثالية لا تمثله ، لا يشعر أنه هو وأيضا ما يسعي إليه ويريده من مجون لا يمثله.

كان ذات مرة في مؤتمر علمي في (جاكرتا) ثم تسرب بعد المؤتمر مثل ثعبان سام يسعي بحثا عن تجربة النوادي الليلة، غير ثيابه لأخري أقل تكلفًا واتخذ موقعه قرب البار، حاول الاندماج مع الموسيقي الراقصة وعيناه تلتهمان سيقان وصدور النساء إلتهاما، وتخترق تلك المؤخرات الرائحة والغادية.

هذا عالم من الصور الحقيقية الملموسة والمحسوسة.

اقتربت منه فتاة صغيرة نهداها بارزان ترقص منه وتميل بجسدها حيث يميل، سألته إن كان يود المغادرة، ربما يستطيع أخذها إلي غرفة فندقه الفاخر والذي يسمح بمثل تلك الأشياء بلا غضض.

ليلة متعة لن يحسبها عليه أحد ولن يشعر بها أيا كان ويعود بعدها كما كان.

كان لازال به قوة من إيمان ساعتها فأعتذر لها لتتركه وتنصرف لتراقص شابًا امريكيًا ثم تمضي معه إلي حيث أراد، طوال الليل كانت تداعبه إبتسامة رضا أنه صالحا وأنه في مثل تقي النبي (يوسف) عليه السلام ، حيث أنه رفض الفاكهة المحرمة التي عرضت عليه مجانًا قبل أن يشعر بالندم قليلا يتسلل إلي نفسه وهو يحاول تخيل ما كان يمكن لهذه الفتاة أن تفعله معه.

هذه الفرص لا تتكرر كثيرا في يومه الروتيني في (باكستان) هناك ألف قيد وقيد يمنعه هناك ولهذا في قرارة نفسه قرر السفر للعمل خارج (باكستان).

كعادته دوما كان هناك نيتان لكل شيء أراد القيام به ، نية حسنة ونية سيئة، أقنع نفسه أن العمل الجديد سيمنحه مكانة أفضل ووضعًا ماليًا أعلي وهكذا يؤمن لأسرته دخلا وحياة أحسن، ونيته السيئة أنه سينطلق إلي عالم المتع الحسية بلا حسيب ولا رقيب ويوم أن يكتفي سيعود طائعا مستقيما وربما أصبح مصلحًا أخلاقيًا كذلك.

أقتنعت (شهيدة) زوجته بحجته في سعيه إلي تحسين وضعهم المالي ووعدها أنه سيبحث لها عم عمل كطبيبة كذلك في البلد التي سيسافر إليها وبعد أسابيع قليلة من البحث تمكن من الحصول علي عمل في إمارة (الشارقة) في الامارات العربية المتحدة والحقيقة انه اختارها متعمدًا.

كانت (الشارقة) حسبما سمع إمارة ملتزمة وأهلها من المحافظين حتي أن الخمر ممنوع بها في كل الأماكن علي عكس باقي الإمارات العربية ، ولهذا فإن أي خطيئة سيغرق بها سيكون مثل المضطر عليها لأن اوجه الفتن ليست كثيرة ولا متيسرة، هو كان مثل الذي يريد من يرغمه علي الإنحراف، كان يفكر كثيرا لماذا لا يسقوه خمرًا عنوة أو تغتصبه إمراة تحت تأثير مخدر

هو بذلك يحصل علي المتعة دون أدني مسؤولية إنسانية أو أخلاقية عليه ولكن هيهات أن تأتي رياحه بما تشتهي سفنه، كان يعلم أنه هو من سيقدم علي الخطوة الأولي ولكنه يؤخرها عسي أن تختلف الأمور قبل الوصول لهذه الخطوة.

في خضم ذلك بدأت نفسه تلقي اللوم علي (شهيدة) لكل ذلك

هي من قادته إلي ذلك، حين عرفها كان ملتزما مثل الجبل الراسخ ولكن برودها في العلاقة وإهمالها له ضعضعت جدار التزامه، ربما لو بذلت مجهودًا اكثر ، ربما لو أخرا الانجاب أو أنجبا طفلا واحدا، ربما لو كانت أكثر شهوة لظل علي حاله القديم.

أراح لومه ل (شهيدة) نفسه المعذبة وهو يسافر إلي (الشارقة) ويستقر بها، مضت شهور بدأ فيها في التأقلم مع الحياة والذوبان مع التيار حتي صار جزءا من مجراه الطبيعي وما أن ارتاحت جوانجه حتي استيقظت روحه المطاردة تبحث عن هدفه المنشود.

كانت مواقع التواصل الاجتماعي قد عرفت طريقها إليه ومعها وسائل التواصل الحديثة الأخري، بدأ بحثه المكثف فيها ، قادته أنامله إلي بضع سيدات هنا وهناك ، أحاديث مراهقة وربما صور متبادلة ولكن لا شيء يطفيء ظمأه.

أكتشف أن (دبي) مليئة بكل تلك الأمور، هناك الجنة الموعودة وما عليه إلا الحج إلي كعبة الذنوب هناك وكعبة (دبي) أقرب من كعبة (مكة).

أول مرة سافر فيها إلي (دبي) أخذ يعد العدة لما سيفعله، مئات من أحلام اليقظة داهمته عن تلك السمراء التي سيمتطيها أو تلك الصهباء التي ستمتطيه.

ذهب إلي أحدي الحانات المعرفة بذلك، كانت مليئة بالشقراوات والسمراوات والصهباوات من جميع الأجناس، اشتهت عيناه فتاة روسية ، شقراء الشعر بيضاء البشرة بشكل غير طبيعي ، أرسل لها سهام نظرته ، التقطتها في خبرة من تمرست علي هذا العمل رغم صغر سنها النسبي، اقتربت من مائدته وهي تسأله أن تجلس ، رحب بها وهو يكاد يذوب من الخجل، ها هو الطعام أمامه ولكنه يخجل من أن يمد يده ليتناوله، سهلت الفتاة المهمة عليه حفاظا علي وقتها وخصوصا أن الليلة في أولها.

فقالت: هل لديك مكان ؟

كان هذا الأمر لم يخطط له، فقد كان يظن أن الفتاة هي المكلفة بتوفير المكان فقال في تلعثم :

- لا ليس لدي، هل يمكننا الذهاب الي مكانك ؟

مطت شفتيها في غير ترحيب وهي تقول

- هنالك السعر سيزيد.

لم يفكر في السعر أيضا، هو حديث العهد بالانحراف، سألها في لهفة :

- كم سعرك؟

بدت له العبارة مبتذلة وشعر أنها غير أدمية ولكن الفتاة يبدو أن أذناها اعتادت مثل تلك الأسئلة وتقبلتها بشكل حسن وهي تبتسم قائلة :

- هل تريد ليلة كاملة أم ساعة واحدة؟

قال لها وهو يوازن في أمره :

- بكم الساعة وبكم الليلة؟

- الليلة مائة دولار وليلة كاملة ثلاثمائة دولار

كان المبلغ كبيرا ولم يكن يتصور أن أسعار تلك الخدمات مرتفع لهذا الحد، أراد التملص منها من دون أن يبدو أمامها بخيلا شحيحا فقال لها :

- وما الذي سأحصل عليه مقابل تلك النقود؟

انطلقت تعدد له الخدمات التي يمكن أن تقدمها لها ، والحقيقة أن العرض كان مثاليًا وأفضل من زوجته ولكنه انتهز فرصة وجود خدمة ما يرغبها بشدة غير متوافرة فسألها وقد شعر أن أمامه مخرج نجاة قائلا

- وهل تقومين ب .....؟

هزت رأسها نفيا فمط شفتيه وكأنما تظاهر بالأسف وهو يقول

- للأسف هذا ما أريده، شكرا لك علي أي حال

نهضت من مقعدها غاضبة وهي تسير إلي مكان أخر بالحانة سعيا وراء أخر يحفظ لها وقتها، شعر بالراحة وهو يقرر الإنصراف ومازال جدار اخلاقه قائما غير أن مرأي تلك الأسيوية الحسناء أمامه الصقه بمقعده، كانت تكبره سنا ولديها نهدان بارزان وأرداف صغيرة مثيرة، طويلة القامة بشكل غريب ، قدر أنها فيتنامية او منغولية، لا يستطيع التحديد فهو ليس خبير في علم الأجناس البشرية.

ابتسم لها وهو يتظاهر بأنه يلقي التحية، كانت تحيته غير واضحة ولكنها لم تهتم، هو زبون وهي تسعي اليه، اقتربت منه ، أشار إليها بالجلوس، جلست وهي تضع ساقا علي الأخري حتي تبرز ما لديها، تفارقت نظراته ما بين صدرها وفخذيها قبل أن تعودا الي وجهها وقد ابتدرته بالحديث :

- من أي البلاد أنت؟

كانت انجليزيتها ثقيلة، قدر أنها إندونيسية ، فقد سمع تلك اللكنة مرارا حينما كان في إندونيسيا، هنا شعر بالحيرة، هل يفصح لها عن جنسيته الحقيقية أم ينتحل جنسية أخري، خلط كلتا نيتيه الحسنة والسيئة فقال لنفسه بأنه سينتحل جنسية أخري غير الجنسية الباكستانية حتي لا يشين بني جنسه وسينتحل جنسية أخري علي عداء معها فيرضى نزعته القومية، فقال لها :

- أنا هندي من (مومباي)

ابتسمت له ابتسامة صفراء ، ربما لم ترقها الجنسية، فيما بعد اكتشف أن جنسية الزبون مهمة جدا لبائعات الهوي، إن كان عربيا من الخليج فهن سيضمن الكثير من المال مع الكثير من الجهد والخدمات المرهقة والمقززة التي عليهن تقديمها، الأمريكيين والأوربيين لديهم الكثير من المال والكثير من الشذوذ ولكنهن غير مرهقين ، الأسيويين ليس لديهم مال وسيرهقوهن بالمفاوضة حول السعر ويبدو أن الهنود من تلك الفئة فجهزت نفسها لسجال حول السعر، ابتدرته قائلة :

- ثلاثمائة درهم

كان سعرها أخف وطاة من الشقراء الروسية، هذا سوق مفتوح وبه عرض وطلب ولكل جنسية أو فتاة سعر مختلف، وهداه عقله او أضله أنه طالما هناك أسعار مختلفة فتلك الأسعار قابلة للتفاوض، في النهاية هي ليست بضاعة ثابتة

كالذهب، هي خدمة بدون مادة خام فعلية، قال لها وهو يريد التملص من الأمر مرة اخري :

- ثلاثمائة درهم لليلة

قالت له وقد صعقت بصوت حاد

- لا يا حبيبي، في الساعة

شعر أنها فرصته فقال لها

- أنا أريد ان أدفع ثلاثمائة درهم بالليلة

صمتت قليلا وهي تفكر قبل ان تقول

- حسنا لا بأس ،هل لديك فندق او شقة ؟

- ليس لدي، سنذهب إلي مكانك

- لا يمكنك الذهاب معي ، أنا اقطن بسكن عاملين ولن يسمحوا لك بالدخول، عليك استئجار غرفة في أي فندق

هز رأسه منكرا طلبها وهو يقول :

- الغرفة ستتكلف مائة درهم علي الأقل، اذن سأدفع لك مائتي درهم فقط

بدا أنها يائسة نوعا ما فقالت له في غير تبسم :

- حسنا، دعنا نذهب الأن ؟

شعر أنها تقتاده بتساهلها إلي ما يريده ولا يرغبه فبذل محاولة أخيرة للتملص وهو يقول :

- مهلا ما الخدمات التي تقدميها؟

أجابته باقتضاب وهي تمسك بيده لتضغط عليها ك

- كل الخدمات؟

هذه الفتاة مستحيلة، هو يعرف أن الأسيويات متهاونات مطيعات ولكن ليس لهذا الحد الرخيص، إنها توشك من تساهله أن تمنحه هي مالا لقاء ذهابه معها

قال لها وهو يكثر من التملص :

- وهل تقومين ب ....؟

هزت رأسها إيجابا فعاد يكرر :

- وأريد أيضا .....

قالت له بصوت خافت ك

- حسنا، كل ما ترغب به سأفعله

يا للهول ، هذه الفتاة تبدو كجنة أحلام لأري خيال مريض، أرض موعودة لكل محروم من المتع، لم يملك سوي أن يقل لها

- ولكني لست مستعدا الأن، ربما غدا هل ستكونين هنا غدا؟

قامت واقفة وهي تطلق عبارات بلغتها الأم في سرعة وكانها قذائف مدفع، لم يحر كثيرا في الفهم، هي تسبه وتطلق عليه اللعنات من قبيل تبا لك وسحقا واللعنة وغيرها من قاموس الشتائم التي لديها قبل ان تمضي مغادرة.

شعر أن الأفضل له أن يغادر الأن قبل أن يتورط أكثر مع أخري أكثر تساهلا من هذه ، فدفع حساب الكوكتيل غير الكحولي الذي طلبه وهو يمضي منصرفا، عاد من (دبي) إلي (الشارقة) في نفس الليلة ورغم أنه كان منهكا في فراشه إلا أنه استدعي كلا من الروسية والأسيوية إلي فراش خياله ليفعل معهن وبهن ما لم يجرؤ أن يفعله في الحقيقة.

استفاق من ذكرياته وإجترار ما لديه وهو يقف يتأمل المرأة ،داعب ذقنه مره أخري، شعر بأنه يودعها للمرة الأخيرة، هي كانت معه في أوقات فضيلته ويعز عليه أن يؤذيها بلحظات سقوطة، أمسك بالفرشاة وغمسها في كريم الحلاقة قبل أن يجلو شعيراته كلها ، ثم أمسك بالموسي، نظر له للحظات وكأنما ينهي نفسه عن فعلها قبل أن يبدأ في جز غابة الشعر من جذروها، يكاد يشعر بها تأن وترجوه أن يتركها، تذكره بشجاعة الهرب التي أعتاد عليها، ولكنه لم يسمع لها، بعد دقائق كانت صحراء وجهه وذقنه جرداء بلا شعرة واحدة

يشعر أنه قد صغر سنًا

وبالتأكيد قد صغر مقامًا في نظر نفسه الأن.

بقت ساعة حتي السقوط ... ساعة وتصل الفتاة.

الفصل الثاني
(ساعة قبل السقوط)

لا يدري كيف أفلت زمام الأمور من يده ، كان الأمر مثل قنبلة موقوتة حاول إبطال مفعولها فانطلق عدادها بشكل أسرع مما يتخيل، كان يدخل يوميا علي مواقع التواصل الإجتماعي ويمارس لذته المنشودة في اصطياد الفراشات، كان البعض منهن بريء للغاية والبعض إتضح أنه ثعلبة تتخفي في ثوب فراشة.

كان عقله منظما وينافر قلبه الخرب، فكان يضع خطته الواضحة والبسيطة للصيد، يبدأ أولا بإضافة الفتيات والنساء اللائي يلحظ من حساباتهن علي مواقع التواصل أنهن سهلات المنال أو كما أحب أن يدعوهن الراغبات المتمنعات، كان يحلل نوعية الصور المنشورة والمنشورات المرسلة وحتي عدد مرات ظهورها ثم يبدأ في إضافتها ويضغط إعجاب علي منشور ما أرسلته هي كرسالة وبإعجابه بها يقر بأنه فهم الرسالة.

مع الوقت تعلم أن الحسابات الفجة جدا في الصور تتبع رجال مثله يتسلون بمثل ذلك النوع من الذكور منطلقي الشهوة فيسخرون منهم فليس من الطبيعي أن ترسل له امرأة من أول رد أن يرسل لها صورة عضوه الذكري، مع كثرة الولوج والتعامل اكتسب مهارة في معرفة الحساب الحقيقي للفتاة من الحساب المزيف للشاب وصار إنتقائيا أكثر.

كان يحرص علي عدم تسجيل أي تعليق خارج لأنه يظهر بحسابه الحقيقي وصورته كما يعرفها الجميع، مع الوقت إختلق حسابا وهميا بأسم أخر ووضع نصف صورة له توحي بملامحه ولكنها لا تؤكدها حيث بدأ في التعليق بعبارات أكثر أريحية مع الوقت.

هو صبور علي المعصية أكثر من صبره علي الطاعة ومع الوقت ولأنه صياد منظم بدأت الشبكة في التقاط بعض السمك اللعوب أخيرًا

هذه هي الشبكة الوحيدة التي يعتبر السمك أن دخولها إنتصارًا له وليس للصياد ، كانت محاولاته كثيرة ربما تعدت المائة محاولة واكثر ووقع صيده علي ثلاث سمكات كبار.

كانت الأولي مهندسة مصرية متزوجة في إمارة أبو ظبي، سمراء من بنات النيل، مكتنزة القوام قليلا، العجيب أن زوجها كان معها بالبيت ولكنه فيما يبدو لم يكن يكفيها عاطفيًا أو جسديًا فبحثت عن متعة إضافية خارج المنزل، تبادلا حديثا قصيرًا وسرعان ما تحولت الكلمات البريئة إلي عبارات إباحية، تبادلا الصور عدة مرات وأثارت خياله بصور لباس نومها المثير والدافيء ثم تطور الأمر إلي مكالمات هاتفية طويلة وساخنة جعلته غير منتظم النوم علي الإطلاق.

كانت تدعوه للقاء كل يوم ويتحجج هو بحجج واهية عن عملية جراحية طلب لها في أخر لحظة أو عن عدم قدرته علي الحصول علي عطلة للقدوم لها في

(أبو ظبي) حتي وضعته أمام الأمر الواقع بأن قدمت هي إلي الشارقة وحجزت غرفة في إحدي فنادقها الكبيرة ثم طلبت منه ان يأتي لها.

لم يكن قادرا علي إحتمال توتر الأعصاب الذي يعانيه ،هذه إمراة أعدت كل شيء وقالت هيت لك، إنها تلقي الكرة في ملعبه، هي تعتبر كنز بالنسبة لأي رجل عابث، إمرأة بلا إلتزام علي الإطلاق لا تريد منه زواجا أو اطفالا، لا تريد ان يظهر في حياتها أو أن تظهر بشكل علني في حياته ولا ترغب في مال كذلك ، بل وفرت عليه ثمن إقامة الفندق وربما منحته هدية أثناء مغادرتها، تلك إمرأة لا تترك.

ولكنها متزوجة.

وهو علي إنطلاقه في طريق الإنحراف وضع دستورًا شيطانيًا أو ملائكيا لنفسه ووضع فيه عدد من المحظورات حتي يخفف من أثار المعصية قليلا ،كان دستوره من عشرة مواد أولها ألا يمارس الجنس مع إمراة متزوجة وثانيها ألا يمارسه مع فتاة بكر وثالثها ألا يمارس الجنس مع مسلمة مثله

كانت بنود ومباديء ساذجة وضعها لسد ثقوب ضميره التي إتسعت مع الوقت ، لم يجد مفرا من الهروب من المصرية المستثارة بشدة، لقد قضي أوقات من اللذة المرئية والمسموعة منها وعليه الأن أن يولي هاربًا ، وضعها علي قائمة الرفض في إتصالات هاتفه وحظرها علي موقع التواصل الإجتماعي، قدر أنها بالتأكيد غاضبة منه بشدة عقب ذلك ولكنه لم يشأ التورط وكسر دستوره المائع الأفعواني.

كانت السمكة الثانية فتاة هندية تعمل محاسبة في بنك، إعجبت به وسألته بعض محادثات طويلة إن كان لديه مكان خاص للقائهما، لم يكن يقدر علي دعوتها لسكنه في الشارقة فرغم كونه يسكن وحيدا إلا أنه كان يحافظ علي سمعة طيبة وسط السكان وليس من اللائق أن يروا فتاة تدخل أو تخرج من عنده وبالتأكيد لن يستأجر غرفة في فندق خصيصا لها في نفس الإمارة ، إقترح عليها بعد إصرار منها أن يستأجر كل واحد منهما غرفة في نفس الطابق بنفس الفندق ثم يلتقيا بعد سكنهما معا في غرفته.

كان يحاول قبل لقائهما إيجاد تحليل لما يفعله ، هو علي وشك خيانته لزوجته وقبلها خيانته لعهد الله معه علي عدم المعصية في ذلك الشأن، أقنع نفسه وساعده شيطانه الماكر أنه يصيب عدة أهداف في وقت واحد فهي في المقام الأول هندوسية ولا يجوز له الوصول لها بالزواج لكون ديانته تحرم الزواج من ديانتها والأمر الثاني أن بلدها في عداء مع بلده وبالتالي في مضاجعته لها نوعا من أنواع استعلاء جنسه علي جنسها.

كان منطقه ساذجا ومليئا بالثقوب ولكنه إرتداه علي عقله المغيب وهو يمني نفسه بليلة حمراء حتي الصباح يرتع فيها في مراعي اللذة الأثمة.

قام بالفعل بالإقدام علي خطوته معها وحجز لها وله حجرتان متجاورتان في فندق ما ، ثم ما إن سكنا حتي دعاها لغرفته ، كان سمراء نحيفة طويلة القامة ، عيونها وشعرها الأسود من النوع الذي يحبه، قبلته بعنف وهي تلتهم شفتاه

فإستجاب لها، داعب موطن عفتها فخلعت جل ثيابها وهي تنام له علي الفراش وتجعل الطريق ممهدا له.

هنا شعر برجفة تعتريه، هو لا يريد فعل ذلك، يود لو هرب منها مثلما هرب يوسف من إمراة العزيز والهروب هنا شجاعة ولكن قوة داخلية به تدفعه علي الإقتراب منها، استقر بين فخذيها وداعبها ظاهريا ولكن بقسوة حتي أتت شهوتها ، شعرت بالحرج منه ، طلب منها أن تفعل المثل معه ففعلت حتي أتي شهوته ولم يحدث بينها أي مضاجعة فعلية ، نظرت له في دهشة ، إحتضنها وتحدث معها حتي الصباح دون ان يكررها، هو ارتكب ذنبا صغيرا ولكن لا يخرجه إلي دائرة الخطيئة

في الصباح التالي وعدها بتكرار الأمر ولكنه لم يفعل ، فتر شعوره نحوها وخصوصا أنه شعر بدناءة منطقه في التعامل معها، فأضاف لدستوره مبدأ أخر ينص علي عدم ممارسة الجنس الحقيقي والإكتفاء بالجنس الظاهري.

كانت السمكة الثالثة عجوزا أمريكية تجاوزت الخمسين من عمرها، إستجابت له بدون ان يدعوها وبالغت في مطاردته بالمحادثات الهاتفية والرسائل ليلًا ونهارًا، ثم توافق الأمر أن كانت بالمدينة نفسها فتقابلا لتناول الغداء سويًا في يوم عطلته ثم ذهبا إلي شقتها ، هناك لم يكن لديه مهرب فالمرأة تعامله بمرونة ونعومة نتجت عن خبرة أعوام، هي تعلم أنه متزوج وأنه خائف وأنه لا يود

فعلها ولكنها تعرف كيف تستدعي خبرة خمسين عاما في إغوائه حتي يسقط معها فيما تريد.

لم تكن من النوع الذي يكتفي بالجنس الظاهري وطلبت منه صراحة أن يطأها، هذه إمراة لا تقبل لا كرد من طرفه ، جرب كل الحيل من طرفه لصرفها ولكنها لم تفلح في ذلك، طلب منها أن تلبي رغباته الغريبة والشاذة، ضحكت في سخرية لعوبة وهي تقل له أنه لا بأس في ذلك وتمنحه مداعبة خلفية أفقدته سيطرته علي نفسه

شعرت بالحنق وهو الذي فقد قوته قبل أن يبدأ ، أعتذر لها ثم أنصرف ولم يكرر زيارته لها مطلقا بل وتهرب منها حتي ملت وذهبت إلي شخص أخر.

بدأت كل تلك المهاترات والمحاولات تطغي علي حياته، بدأ يهمل محادثة زوجته واولادهه، تأثرت واجباته الدينية ، ظل يؤديها في وقتها وبطقوسها ولكن بشكل خالي من الشعور والتركيز، حتي عمله تأثر سلبا فصار يعاني من ضبط إيقاع حياته

وضع مادة إخري بالدستور حتي يتجنب ذلك ، ألا ينفق مالا لقاء ذلك ثم ألا يمارس الجنس إلا مع فتاة تحترف بيع الجنس، كان المبدأن متناقضان وعاني في إيجاد الفتاة التي تبيع الجنس للجميع وتمنحه خدماتها مجانا قبل أن يحذف مبدأ الجنس المجاني ويكتفي بأن يقرر ألا يمارس الجنس سوي مع فتاة تحترف بيعه.

هنالك وقع علي ذلك الموقع علي الأنترنت والذي يقدم خدمات مرافقة ، كان الموقع ذاخر بصور مئات من الفتيات بل وحتي من الغلمان الشواذ مع سرد لخدماتهم التي يقدمونها وكأنهم يقدمون سلع تجارية معلن عنها ببراعة، أخذ يدون الأرقام في هاتفه ثم بشكل سري يضفهن الي وسيلة تواصل ويرسل لهن رسالة.

كانت حواراته تسير علي النحو التالي :

- مرحبا

- مرحبا عزيزي، كيف حالك ؟

- بخير .

- من أي البلاد أنت ؟

- من تركيا

- أنا من تايلاند، كيف حصلت علي رقمي ؟

- من الموقع الفلاني، ما الخدمات التي تؤديها ؟

تسرد له الفتاة في كلمات محفوظة ما يمكن أن تقدمه له، هذة جنة شهوات متكاملة وكلما زادت قدرة الفتاة علي تلبية أكبر قد ممكن من تلك الشهوات كلما زاد ثمنها

- حسنا ، كم المقابل بالساعة ؟

- هل ستحضر لي أم سأحضر لك ؟

- كم مقابل هذا وكم مقابل ذلك ؟

- السعر هنا سيكون كذا والسعر هناك سيكون كذا

- هذا السعر مبالغ فيه ، سأدفع كذا

- لا يمكن يا عزيزي ولكن سأمنحك تخفضيا ماذا عن كذا ؟

- لا هذا كثير ، شكرا

حقيقة الأمر أن موضوع النقود لم يعد يعنيه ولكنه يستمتع بالمحادثة نفسها وطاب له كثيرا أن يطلب منهن أن يرسلن صورهن العارية له أو الأدوات اللائي يستخدمنها وكن يفعلن بكل ترحيب ، كان يجري أكثر من خمس إلي ست محادثات يوميا مع فتيات مختلفات، تلك بولندية وهذة كينية، الصينية ذات العيون الضيقة والمغربية ذات الجسد الممشوق ويشعر باللذة ولكن الأمر تطور مع الوقت ومع كثرة مشاهدته للافلام الجنسية علي الدوام.

كانت الأفلام الجنسية مثل فاتح الشهية بالنسبة له ، وبدون وجود طعام حقيقي بعد فاتح الشهية هذا، تحول هو إلي قنبلة موقوتة تحتاج إلي من يتعامل معها.

صادف في طريقه نحو الإنحراف الغلمان الفتيات أو من يطلق عليهم الخنثي، كن من الجنسيات الأسيوية وهن ذكور ولكنهن لأسباب عضوية أو نفسية أثرن تحويل أنفسهن للشكل النسائي ، أثداء كبيرة وجسد ناعم ، وملامح وجه أنثوية بحتة مع شيء ما أخير لم ينزعوه من الذكورة وكن يعرضن ممارسة الجنس الشاذ مع الأخرين.

علي سبيل التجربة والمزاج حادث أحدهم أو إحداهن مرة، ووجد نفسه ينسحب في المحادثة إلي أبعد مدي، كان ذلك الفتي الخنثي أكثر جمالا من زوجته نفسها، وأكثر إثارة من الكثير من النساء اللائي عرفهن، شعر بنفسه يضيع فقام بحظر الاتصال بهذا الكائن المريب وهو يعد نفسه ألا يكررها

ولكنه كررها

قام بوضع مادة في دستوره الشيطاني تقول في حالة الإضطرار لفعلها بين خنثي وإمراة فألافضلية للمرأة ولم يكن يدري أن تلك المادة التي وضعها ستتلاعب به وتجعله يقنع نفسه أن العلاقة المحرمة مع فتاة مشروعة خشية من التورط مع فتي مخنث من ذلك النوع

ولذا بالغ في الإتصال علي فتيات من النوع المريب ، العجيب أنه أستشعر أنه يحب الممارسات الغريبة ولم يكن يدري أنه يحبها علي ذلك النحو الكبير.

كان مثل الذي يقود سيارة مسرعة واثقا بقدرته علي إيقافها في الوقت المناسب وينطلق بها نحو حافة هاوية ثم يوقفها قبل الحافة بقليل ولكن في كل مرة يحاول ويوما بعد يوما يري المسافة التي يتوقف عنها تقترب أكثر من اللازم من الهاوية

هو يدرك أن الموضوع قادم بلا محالة

والهاوية تنتظره

هو يري خلل دفاعاته وأن حصونه تتداعي تحت دك مدافع الشهوة يوما بعد يوم، حاول أن يبعد نفسه عن ذلك الأمر بدعوة زوجته وأولاده لقضاء شهرا معه بالشارقة ولكن رغم حضور زوجته وتسريتها عنه لم يعد يشعر أنه يستطيع البعد عن ذلك العالم الساحر الذي سرقه من نفسه حتي أنه أخذ يعد الأيام حتي تغادر زوجته وفسرت هي ضيقه أنه يتضايق من سفرها فيما بعد ولكنه في الحقيقة كان يتضايق من وجودها معه ، هو مثل الذي قيد نفسه حتي لا يعبث فكره نفسه وبغض القيد

ما إن سافرت زوجته وأطفالها خارج البلاد عائدين إلي اسلام اباد حتي عاد لنفس تجاربه ومغامراته غير البريئة السابقة، كان يقترب من السقوط ولكنه لم يعد يحتسب المسافة

حتي كان الإيذان بالسقوط

كانت علاقته لسبب ما قد توترت مع زوجته حينما أخذ يحاسبها عن عدم إهتمامها بوالدته في غيابه وعدم تذكرها لمناسبة تخص أمه، شعر بالحنق علي زوجته ولامها وذكرها أنه لا يمنعها شيء وهي تحرمه كل شيء.

في قرارة نفسه إتخذ من ذلك ذريعة حتي يسقط

هو كالمعلق علي جبل متسمك بحبل

يعرف أن هذا الحبل يقيه السقوط

اذن كيف يسقط ؟

ليشتكي أن الحبل يؤلم يده

وليترك نفسه يسقط

ثم قام بمحاولة إتصال أخيرة

تحت ضغط من وحدته وضعفه وتوتر علاقته مع ربه وزوجته ، إتصل بها، كان قد رأي الرقم ودونه من علي أحد المواقع غير البريئة ورأي كما هائلا من الخدمات التي يمكن تقديمها، وجبة دسمة تناسب من جاع عن الشهوة طويلا، أرسل لها رسالة تقيليدية وتناقشا في عدة امور ثم سألته مباشرة عن طلباته هنا أدرك أنه لا يتعامل مع فتاة بعينها بل مع وكالة تسهيل المتعة الحرام، سألها أن تريه الصور الخاصة بالفتيات ، أرسلت له عدة صور، أعجبه جسد إحداهن فسألها عن خدمة بعينها تقدمها فأعتذرت له وأقترحت عليه أخري، لم يكن ليكترث فعليا ، فحتي لو وجد إنثي التنين الأن لمارس الخطيئة معها.

ارسل لها عنوانه وصورته، كان هذا الموسم به اجازات كثيرة والكثير من سكان بنايته قد غادروا ولذا لن يثير دخول الفتاة الفضول من أحد، طلب منها أن تنتظره الفتاة علي بعد بناية كاملة منه حتي لا تثير الشك، ثم خرج ينتظرها هناك، عرفها علي التو فور أن ترجلت من سيارة الأجرة ، تلفتت حولها تستطلع من من المارة أو الواقفين هو الرجل المنشود، أشار لها بيده ثم انصرف وهو يرسل لها رسالة خفية أن تتبعه وتترك مسافة بينها وبينه، تبعته في خنوع حتي دلفا الي البناية وجمع بينهما مصعد واحد.

هنا أخذ وقته في تأملها

كانت قصيرة القامة أقل منه بعشر سنتيمترات علي الأقل، جسمها رياضي ونهداها بارزان ولكن صغيران، هو لا يحب المرأة المفرطة في الضخامة لصعوبة السيطرة عليها في الفراش، يريد شيئا يستطيع إحتوائه لا أن يسحق من اسفل منها، كانت بيضاء البشرة وتميل إلي الصفرة قليلا، أهدابها جميلة ولكنه قدر أنها صناعية، عيونها ضيقة ولكن ليس بالشكل الذي يسمح له بالتعرف علي هويتها الأصلية، شعرها أسود فاحم وقد جمعته كله في جمة واحدة، أنفها وفمها دقيقان للغاية، رائحتها نضرة ،هذه إمراة قد تحممت ثم تعطرت لهذا اللقاء وهذا له مؤشر جيد علي حسن نظافتها، كانت ترتدي سترة وردية اللون علي جينز عصري يضيق علي أردافها ليبرزهما، وكانت تضع علي ظهرها حقيبة ظهر صغيرة.

شعر بالدهشة من منظر ثيابها ومن حقيبة الظهر التي تحملها ، كان معتادا علي الصورة التقليدية لبنات الليل وهن يرتدين الفساتين القصيرة والمكشوفة ولكن هذه أول مرة يري بائعة هوي ترتدي ثيابا عادية وعصرية وتحمل حقيبة ظهر ولو أنها لا تقصده وصعدت معه بالمصعد لقدر انها طالبة جامعية او بائعة متجولة وليست في الطريق لتلبية نداء متعة.

عرض عليها أن يحمل حقيبتها ولكنها رفضت بأدب وهي تمنحه إبتسامة ثم تخرج جزء من لسانها عقبها، لم تكن تفعلها سخرية ولكن بطريقة مثيرة تثير الرغبة.

مد يده ولمس جزءا من جسدها ببطء، إبتسمت مرة أخري وهي تخرج لسانها، لاحظ أنها لا تتكلم، كان المصعد قد وصل إلي الطابق السادس الذي يقيم به، خرجا سويا، تعمد ألا يتكلم معها حتي لا يحدث صوت يوقظ جيرانه، كانت الساعة الحادية عشر ليلا، هو لديه عمل غدا ولكنه لا يكترث.

فتح باب شقته ودعاها للدخول، دخلت في هدوء، وألقت نظرة سريعة، كانت من الذكاء والخبرة لتحدد مكان غرفة النوم فذهبت اليها من تلقاء نفسها وهي تضع حقيبتها جانبا في رفق .

لم يكن يعلم مع الذي عليه فعله الأن، كان قد وضع كعادته ألف تخيل وتصور لما يمكن أن يحدث ولكنه الأن مرتبك كثيرا، هل يستلقي علي الفراش ويدعها تأتيه ، أم يقترب منها ويداعبها، هل يتعامل معها بخشونة أم بلطف، هي ملكه لساعة ويستطيع ان يفعل ما يشاء بها.

حاول أن يتخلص من إرتباكه ويبدو لطيفا فسألها إن كانت تحب ان تشرب شيئا قبل أن يبدأ، لم يبدو عليها أنها فهمت كلامه ، فسألها عن أسمها قائلا:

- ما أسمك ؟

اجابته في صوت هاديء رفيع

- ريناتا

كان وقع الأسم عليه غريبا، لا يبدو أسما اسيويا رغم ملامحها الموغلة في الأسيوية، فعاد يسألها:

- ما جنسيتك ؟

بانجليزية ركيكة قالت

- ماليزيا ، معلوم

قطعت حبل حديثه بأن مدت يدها وهي تشير بعلامة النقود، كانت تريد ان تأخذ أجرها مقدما، تحسب لذلك، فأخرج من حافظته مبلغا من المال اتفق عليه مع قوادتها، كان مبلغا كبيرا ولكنه لم يكترث ، وضعته داخل حقيبتها بإحكام ، جلس حو علي حافة فراشه يتأملها، كان يعلم ريناتا ليس اسمها الحقيقي ، ربما هو اسم مستعار وربما اتخذته لأن اسمها الاصلي صعب النطق، الكثير من الكوريين واليابانيين يفعلون ذلك، علي أي حال هو مهتم الأن بجسدها وليس باسمها .

تأكد كذلك من أن لغتها الانجليزية تكاد تكون معدومة ، فقد أستخدمت كلمة معلوم بدلا من هل تعلم وهي كلمة عربية توحي أنها لا تدرك الكثير من الكلمات في اللغات الاجنبية، اندهش من كونها ماليزية وتعمل بتلك المهنة، بالتأكيد الدخل مجزي ولكن كان لديه تصور مثالي عن الشعب المثالي في تمسكه بالعفة والأخلاق فلم يتصور أن تكون هناك فتاة ماليزية تمارس الحب بمقابل.

وقف يتأملها وهي تخلع بنطالها في بطء ، لم تكن تتعمد إثارته ولم تنظر له حتي، لاحظ أن سروالها الداخلي أسود اللون من النوع الغالي، ليس مهترئا وليس به ثقوب، هذه إمرأة تهتم بنفسها، خلعت سترتها ليظهر حمالة صدرها من نفس لون السروال الداخلي ، وهذه قلما شاهدها في إمرأة ويوحي بالذوق والاهتمام.

لم يكن يعنيه الملابس الداخلية كثيرا، هو طبيب نساء ويريد أن يري الجسد نفسه، فتاة تعمل في هذا المهنة تحتك بعشرات ومئات الرجال جسديا بشكل كامل ومباشر،لا يريد ان يلتقط منها أي مرض تناسلي أو جلدي يؤذيه ويشينه ولذا راقبها وهي ترتب ملابسها التي خلعتها بشكل منظم علي مقعد قربها وتعجب من نظامها الشديد قبل ان تخلع سروالها السفلي الداخلي.

كان أول ما لاحظه وجد إحمرار في جلدها قرب ملتقي عفتها مع فخذيها ، شعر بالتوتر من أن تكون مصابة بمرض ما، ولكن حينما اقترب ببصره تاكد أنه احمرار طبيعي ربما من الاحتكاك الزائد والخشونة مع هذه المنطقة، استدارت توليه ظهرها وهي تخلع حمالة الصدر، جسدها أبيض ناعم مثل المرمر، هناك نفس الأحمرار في المؤخرة، هذه إمراة تعرضت لأبشع إحتلال لأراضيها وهو علي وشك أن ينضم الي ضغمة الغزاة الفاتحون القساة.

شعر بشهوته تشتد ، وقف ازائها وخلع كل ثيابه في عجالة وهو ينهال علي شفتيها تقبيلا، لاحظ برودها في ذلك فلم تبادله القبلات بل استسلمت له في صمت، هي ليست من النوع الذي يفعل هذا ربما، أو هي لا تحسن التقبيل ولكنها بالتأكيد ليست الفتاة التي يريدها.

في بداية رحلة إنحرافه كان يضع معايير عالية ومرتفعة للمرأة التي يريد ان ينحرف معها ولكن مع إنهيار دفاعاته صار يرتضي أي شيء حتي لو كانت جثة هامدة ، لقد سقط وسقطت معاييره.

لم يحب أن يكمل في لعبة التقبيل، هذا فتاة من النوع العملي وتريد المعاشرة المباشرة ولذا القاها علي الفراش وانطلق يلعق جسدها كله، هنا جاوبته بنفس الممارسة وقدمت له مباشرة فمية له قبل ان يحاول أن يلج داخلها.

منعته بيدها وهي تخرج لسانها بشكل لعوب ثم تخرج من حقيبتها واقيا ذكريا ألبسته اياه ثم تخرج كريما ملطفا كذلك لتدهن به مدخل شهوتها ومخرج شهوته ثم توليه ظهرها ليباشرها.

كان لتلك اللحظة يعد نفسه مؤمنا من أصحاب اللمم

بعدها بثانية أصبح يعد نفسه عاصيا من أصحاب الكبائر

كان فأصبح

لم يشعر بتلك السقطة وكأنها من شدته لم تؤلمه، كانت ضيقة وتأوهت كثيرا وهو يأتيها ولكن هذا زاد من نشوته ، لقد دفع مالا كثيرا وعليها العمل لقاء هذا المال، هو كطبيب بعد سنوات من الدراسة والعمل الشاق لا يكسب في الساعة مثلما تربح هي

لم تحتمل قوته وشدته فولت من بين يديه مبتعدة وهي تنقلب علي ظهرها وتشير بشكل عابث الي فرجها الصغير، لم يكن منظره مشجعا ولكنه يريد ان يجرب كل مكامنها وأن يستشكف كل كنوزها، عاجلها بإيلاج مباشر ولكن يبدو أن قواه لم تسعفه وان خبراتها قد دعمتها فشعر بنفسه ينكمش داخلها بعد ان أتي شهوته.

هنا أفاق

لم يكن قد مضي من خلال الساعة التي أتفق عليها سوي عشر دقائق فقط، لكنه لم يعد يريد، كان يمني نفسه بجولة ثانية وأنه سيفعل وسيفعل ولكنه أفاق علي عظم وجرم معصيته ، لقد ارتكب كبيرة لتوه، لقد انهار دستوره كله، لقد سقط الرجل الكبير، ابن العائلة الفاضلة، لقد انحرف الزوج والد الأبناء وأخ البنات الأكبر، لقد صار مثل كل من بغض سلوكهم من قبل ، لقد انتهي.

توقف للحظة وسط دهشتها قبل ان يقف وهو يشير لها ان تنهض وترتدي ملابسها، كانت قد خلعت ساعة معصمها ووضعتها علي منضدة صغيرة بجوار الفراش فنظرت لها مندهشة ولكنه أشار لها ان تغادر

لقد كرهها وكره لحظة لقائه بها وغابت اللذة وأتت الحسرة

قام إلي الحمام حتي يتخلص من الواقي الذكري ويغتسل

شعر بها تأتي خلفه وهي تغسل أثار ما تبقي من الكريم ثم تخرج لترتدي ثيابها في بطء مثلما خلعتها وتضع أدواتها في حقيبتها مرة أخري، كان يشعر بالحزن العميق،لقد سقط ولم يستمتع، خسر دينه ولم يكسب متعته، شعر بأنه يود البكاء، رأها تهم بالرحيل ، ألقت عليه نظرة عابرة خالية من أي مشاعر، تسائل في نفسه هل لديها حقا أي مشاعر أم أنها دمية بلا عقل؟ كيف تنظر له الأن ؟ هل تراه انسانا جيدا أم سيئا ؟ شعر أنه يود أن يسألها فأخبرها أن تأتي لتجلس علي الفراش، كانت تعلم أن الساعة لم تنصرم بعد ولن يضيرها بعض الكلام، نامت الي جواره علي الفراش ، وهي تتطلع له في هدوء مثير للأعصاب، سألها في خجل :

- هل تعتقدين أني إنسان سيء ؟

لم يبدو عليها أنها فهمت عبارته ، هذه الفتاة لغتها الإنجليزية مثل معرفته هو بعالم البحار، لا تفقه شيء علي الإطلاق، نظر لها محاولا فهمها ، كانت ملامحها توحي بأنها مهتمة ، فأشار الي نفسه ثم أشار بأصبعه للأسفل علامة عدم الجودة ، بدا الدهشة علي وجهها قبل أن تتجه لحقيبتها لتخرج جوالا حديثا وهي تضغط علي بعض التطبيقات به ثم تقربه من فمها وتتحدث بلغة ما لم يفهمها

أرته الشاشة كان بها ترجمة ما تقول باللغة الإنجليزية وسمع كذلك صوتا يخرج من البرنامج يردد الكلام بشكل مسموع، هذا برنامج ترجمة متطور،وهي تحاول فهم ما الذي يقوله، كانت عبارتها :

- أريد أن أفهمك ، ما الذي تقوله ؟

ضغط علي التطبيق وهو يقل بالانجليزية :

- هل تعتقدين أني إنسان سيء ؟

سمعت الترجمة فنظرت له مندهشة وهي تقل عبارة ما بلغتها ثم تريه الرد، كانت تقول :

- لا ، ولماذا تكون إنسان سيي ؟

ضغط علي التطبيق وهو يقل لها :

- أنا في المعتاد لا أمارس الجنس مع أحد بدون زواج وهذا شيء سيي في ديانتي ومجتمعي ، ولكن كنت أريد أن أظل انسانا جيدا ولا أؤذيك

لو كانت فتاة ليل محترفة لضحكت حتي النخاع ولكنها استمرت في حوارها لتقول :

– كونك أحببت أن تمضي وقتا لطيفا وتنفس عن شهوتك لا يعني أنك انسان سييء وإلا لعني ذلك أنني أسوا منك

في قرارة نفسه كان يعرف انها اسوأ منه ، هي تبيع لحمها لأي عابر سبيل وتمارس الفجور بدون تمييز وبمقابل، ولكنه لم يصارحها بذلك فقال لها ك

– ولكني مختلف، إنا إنسان كنت أريد أن أصبح صاحب رسالة، وأخدم المجتمع من خلال وظيفتي وأن اصبح جيدا لعائلتي وللناس

ردت عليه :

– في بلادي يعتبر الجنس حق شرعي ومتطلب أساسي لكل الناس وبالتالي أنا نفسي اؤدي وظيفة ما لمن لا يتيسر لهم الحصول عليه ، أنا أنفع المجتمع.

تعجب من أنها تعتبر وظيفتها مهمة بالنسبة للمجتمع، هذه فتاة ليل فيلسوفة تنظر لمفهوم الجنس مقابل المال ولا تستحي من مهنتها، هي تعتبر نفسها مثل السباك والطبيب والمعلم، تؤدي مهنة ما، لهذا منظرها لا يبدو مثل بنات الليل التقليديات، لا ترتدي مثلهن، لا تتكلم مثلهن، لا تمشي حتي مثلهن، لذلك حتي ممارستها باردة، إنها تعرف أنها هنا لغرض محدد كوعاء للشهوة وتمارس تلك المهنة بلا عواطف،مثل الطبيب الذي ينتزع لك سنك الذي يؤلمك، لن يرقص لك ويغني

حتي يسعدك، كانت أول مرة يقابل فتاة من ذلك النوع وتسائل هل يوجد مثلها الكثير أم أنها حالة إستثنائية

عاد يقل لها

– ولكن انا فعلت شييء سييء معك ألا تدركين ذلك ؟ لقد دفعت لك مالا لتفعلي شيئا لا تريدين فعله في المعتاد،

قالت له :

– أنا كنت احتاج للمال وأنت منحتني اياه، لو اخذته من طريق اخر لكان تسول، أنت طلبت خدمة وأنا حددت سعر لهذه الخدمة وعرضتها واتفقنا ، ما المشكلة في ذلك ؟

علق علي عبارتها قائلا

– المشكلة أنني قد استغللتك، كان يمكنني أن امنحك المال بدون فعل ذلك ، كان يمكنني انفاقه علي الفقراء، كان يمكنني أن أطعم به الجوعي

قالت له :

– أنت لم تستغلنى ، أنا عرضت نفسي أولا وانت لم تجرني الي الطريق بعد أن كنت فتاة طبيعية، المستغل هو من ينام مع فتاة بغرض الجنس ويوهمها بالحب، أنت صريح ومباشر وأنا واضحة ومباشرة، كم أنك لا تعمل كيف سأنفق المال، ربما انفقه علي المرضي والجوعي والفقراء ، هذا المال سيساعد أحدهم بلا شك

قال لها :

- لا أدري فيما ستنفقيه ولكني لم أعطيه لك لغرض الخير بل كان غرضي دفع ثمن ما تعملين

توقفت للحظة قبل ان تسأله :

- ما جنسيتك ؟

أخفي جنسيته متعمدا حتي لا يشين نفسه أكثر وهو يقل لها :

- أفغاني من (كابول)

رفعت إحدي حاجبيها وهي تقول عبر التطبيق :

- لقد تعرفت علي شخص ما من بلدك من قبل، عيناه كانت حزينتان مثل عينيك تماما، أنتم تمرون بظروف صعبة في بلادكمن الفقر والجهل والمرض وعدم الإستقرار، أنت لست سعيدًا من الداخل.

أسعده أنها قد انطلي عليها أنه من (أفغانستان) لم يعرف لماذا كذب عليها ولكن لم يرد أن يلتصق بجنسيته حفظا لها من أعماله المشينة كما أنه خشيت ان تتحدث عن ذلك الباكستاني الأخرق في حديثها مع أحد، الأفضل أن يكون الكلام عن أفغاني أخرق وليس هو

قال لها :

- نعم في بلادي الفساد في كل مكان، نحن نمر بظروف صعبة ولهذا نحن حزينين

قالت له :

- حسنا انت حزين وتحتاج إلي السعادة ولو لم تحصل عليها مجانا يمكنك شرائها وتجعل بائعها سعيدا كذلك بالمال

صرخ في وجهها عبر التطبيق :

- ولكني مسلم، وفي عقيدتي هذا محرم

كان أمر الترجمة غريبا وجعل الحديث مشوقا بعض الشيء فهو وهي يستمعان لصدي المشاعر أولا ثم يصغيان لترجمة الكلام، حاول أن يبسط الكلمات لها بإستخدام لغة الإشارة ، كانت ذكية رغم برود ملامحها وكانت تستخدم كلمة (معلوم) كثيرا للدلالة علي فهمها للأمر دون حاجة لرؤية الترجمة علي الجهاز، فوجيء بها تلمس شفاهه وتسري بكفها علي ملامح وجهه حتي عينيه قبل أن تقول شيء بلغتها ثم تأخذ التطبيق وتكرر نفس الشيء، كانت تقول :

- أنت تبدو من الخارج صلبا ولكنك محطم من الداخل

رد عليها قائلا :

- لقد جاهدت لأكون إنسانا أفضل وفشلت

- حاول مرة أخري

- لا يمكنني الأن لقد سقطت سقطة مريعة لا أقوي علي النهوض بعدها أبدا

فوجيء بها تقوم من جواره وهي تخلع سروالها وتمد يدها لتمسك بيده وتجعله يلمس ساقها، لم يفهم ما الذي تريده، هل تريد معاودة ممارسة الجنس معه، لاحظت تعجبه فأمسكت بالجهاز وهي تقول

- حينما كنت صغيرة في سن الخامسة ، تركني أهلي لوحدي بالمنزل وذهبوا إلي السوق، بشكل خاطيء تسببت في حريق والتهمت النار كل المنزل وأنا فيه، حاولت الهرب من النيران فسقطت من الطابق الثالث علي ظهري وتحطمت ساقي أيضا لأصاب بالشلل .

نظر لها غير مصدق، كان بحكم خبرته كطبيب قد لمس ساقها وتبدو سليمة له رغم وجود أثار لجرح سابق بها، عادت تقول عبر الجهاز :

- اجزم كل الأطباء المحترفين في المدينة علي أن حياتي ستنتهي علي هذا النحو وانني لا يمكنني السير علي قدماي مرة أخري وقضيت طفولتي كلها علي مقعد متحرك لا ألعب ولا أخرج، من يأس أبي أنه يمكنني الشفاء مرة أخري ومن كثرة ما سمع من توصيات الأطباء ألا فائدة من ذلك لم يعد يذهب بي الي جلسات العلاج الطبيعي، كنت أغافلهم وأنا علي المقعد المتحرك وأحاول القيام والمشي أو تحريك ساقاي بالاستناد علي أي شيء، حاولت عدة مرات وسقطت سقطات مريعة ، حتي ان أبي صاح بي الا فائدة مما أفعله والافضل ألا اضيع وقتي واثير قلقهم علي بكل تلك المحاولات، لم استسلم له وبدأت أحاول سرا في غرفتي ، لحوالي عشر سنوات وانا احاول حتي فعلتها أخيرا ، عندما أكملت خمسة عشر سنة أستطعت المشي مرة

أخري ، الأطباء في بلادي يعتبروني معجزة طبية وهناك أحدهم قال بعمل رسالة دكتوراه جامعية عن حالتي شخصيا.

نظر لها مبهورا، هذه الفتاة أبعد ما يكون عن بائعات الهوي وبنات الليل الباغيات، وهي كذلك أقوي من بعض النساء المثقفات الذين قابلهن في حياتي، هي تملك شيئا لم يعهده من قبل، الإيمان بالأمل والإصرار علي العمل

سألها عبر التطبيق بفضول :

– هل لي أن أسالك، لماذا تمارسين هذه المهنة ؟ أنت جميلة وذكية ويمكنك العمل في مهن أخري كثيرة

ردت عليه قائلة :

– أحتاج الكثير من المال ، أكثر مما تستطيع الوظيفة التقليدية فعله لي ، لدي أخ أساعده ماليا للدراسة وكذلك أعتني بأمي بعد موت أبي ، كما أن لدي ديون كثيرة علي سدادها

صمت للحظات وهو يطرق رأسه ناظرا الي جسده شبه العاري، كان يشعر أنها بشكل ما بدت أفضل منه، هي واضحة ومتسقة مع نفسها علي عكسه، نعم تبيع جسدها ولكنها لم تبتذل، يود لو صارت صديقته فهي من النوع الذي يود الحديث معه صباحا ومساءا، ود لو يسألها هل أعجبها الجنس معه وإن كان حجم عضوه الذكري مقبول بالنسبة لها قبل ان يري ان الأمر أصبح غير لائق بعد هذا الحديث الودود الراقي

إلتفت لها وهو يسألها :

- كم عمرك ؟

- ثلاثة وثلاثين

اعقبت اجابتها بأن أشارت إلي صدره وقالت كلمة ما بلغتها ، فهم انها تسأله عن عمره كذلك فرفع ثلاثة أصابع ليخبرها بأن عمره ثلاثين عاما

عاد يسألها :

- هل ذهبت إلي أي مدرسة ؟

أخبرته قائلة :

- حينما كنت علي المقعد المتحرك درست بالمنزل الأساسيات فقط ، الحساب وقواعد القراءة والكتابة ولكن بعد أن اكملت العاشرة من عمري أصرت أمي علي إلحاقي بالمدرسة العادية مع الأطفال الأخرين وحصلت علي الشهادة الإبتدائية ثم حينما تعافيت انهيت المدرسة الإعدادية ثم المدرسة العليا ، انا أعرف الكثير من الأشياء وأقرا كثيرا ولكني لم أتعلم اللغة الانجليزية ، ذهبت الي معهد لتعليمها وبعد دراسة سنتين ، لا أستطيع سوي قول عبارتين مرحبا ووداعا

كانا في الحقيقة كلمتان لا عباراتان فإبتسم لها بإقتضاب وهو يقول :

- لو كنت تتحدثين الإنجليزية لحققت نجاحا كبيرا في الحياة.

عاد يسألها :

- هل لو جمعت الكثير من المال ستتوقفين عن العمل ، ماذا ستفعلين بعدها ؟

أخرجت لسانها كالمعتاد وهي تقول :

- بالطبع سأتوقف عن العمل وسأعود إلي بلادي وأنشا عملا خاص بي ، سأعمل بالتجارة وربما أدرس القانون لو كان سني لا يزال صغيرا ولكن أمامي وقت طويل لفعل ذلك

هم بسؤالها شيئًا ما، لكن قاطعهما صوت هاتفها النقال يدق، أغلقت الإتصال وهي تشير إلي ساعتها، كانت قد مضي اكثر من ساعة منذ تواجد معها، اخذت الجهاز وترجمت له ما تريد قائلة :

- سائق الإجرة ينتظرني بالأسفل ، علي الذهاب الأن ، كان لطيفا التحدث معك، حاول ان تكون سعيدا ولا تفكر كثيرا.

قاما من علي الفراش وساعدها علي حمل حقيبتها وأرتدت سروالها الداخلي مرة أخري، ارتدي ثيابه وهبط معها ليقوم بإيصالها من حيث جائت ولكن تعمد ان يتركها عند نفس النقطة.

قبل ان تنصرف نظرت له منتظرة أن يحتضنها مودعا ولكنه لم يفعلن الأن فقط لا يشتيهها بل ينظر إليها علي أنها صديقة او علي الأقل إنسانة متميزة، قام بمصافحتها قبل ان تأخذ هاتفها وتشغل التطبيق مرة أخري ثم تقول :

- حينما تحتاج للحديث ،تواصل معي علي برنامج الفايبر

هز رأسه موافقا ثم إلتقط هاتفه وطلب منها تسجيل رقمها، سجلت رقمها في سرعة ثم غادرته مودعه قبل أن تختفي من أمام عينيه

عاد مثقل الخطي ، مرت ساعة الأن بعد السقوط ولا يدري ما الذي عليه فعله الأن ولكن بالتأكيد هناك خطأ عظيم بإنتظار إصلاحه

الفصل الثالث
(بعد السقوط بساعة)

لم يكن يدرك أن شعور الإنتهاء من الخطيئة سيئا إلي هذا الحد، كان يشعر أن الله يراقبه من السماء وحده، يعلم ان الله يراقب كل البشر ولكنه يشعر الأن أنه قد أختصه بالنظر وينظر له بشكل غاضب جدا، من داخله يشعر بالضيق الشديد وكأن روحه تكاد تخرج من صدره، قدماه متثاقلة وعقله مشتت.

لا يستطيع إعادة عقارب الساعة للوراء بالتاكيد ولا تحويل مجري الزمن، هذا ليس حلما من أحلامه الشهوانية التي سيستيقظ منها بدون أي وزر ، يعرف ان كل ما حدث قد حدث فعلا وليس خيالا، صدق من قال ان لذة الطاعة تبقي ويذهب تعبها ولذة المعصية تذهب ويبقي وزرها، ولكنه لم يستمتع، هل يخفف هذا من ذنبه أمام الله، إنه لم يشعر بالمتعة .. يعرف أن الذنوب درجات فمنها اللمم وهو صغار الذنوب ومنها الكبائر وهي عظائم الخطايا ومنها السبع الموبقات ومنها ما بين ذلك.

ويعرف أيضا أنه هناك علي الله ما هو أشد من الذنب، الفرج بعمل الذنب أشد علي الله من الذنب نفسه، والحزن لعدم فعل الذنب أشد علي الله من الذنب نفسه

هو لم يكن فرحا او سعيدا ولا حتي منتشيا أثناء فعل الخطيئة، فكر في نفسه ما المسوغ الشرعي الأن الذي عليه فعله للتوبة وأستحضر دروس التوبة التي سمعها

من شيخه، عليه الحزن علي فعل المعصية وها قد فعل وعليه ان يقسم بعدم فعلها مرة أخري ولذا توقف وهمس لنفسه" لن المس أي إمرأة بعد ذلك قط" وعليه الإقلاع عن الذنوب الشبيهة

شعر أن الأمر سهلا في البداية ولكنه للتأكيد عاد إلي كتاب في مكتبته عن العبادات والمعاملات وقرأ عن شروط قبول التوبة، هو أن يتوقف العبد عن الذنب وعدم فعله مرة اخري، إذن الأمر مرهون بالوقت ومرتهن به هو، لو عاد للذنب فهذا يعني أن توبته لم تقبل ولو لم يعد فهذا معناه أن توبته وعودته إلي الله لم تقبل

حاول ان يبحث علي الانترنت عن أي قصة من قصص الصالحين تشير إلي أن أحدهم قد ارتكب خطيئة الزنا وغفر له فلم يجد، شعر بالحزن الشديد، قام بالدخول إلي الحمام وتنصل من ملابسه كلها وهو يضعها في سلة القمامة ،هذه ثياب شهدت خطيئته ولا يريدها مرة اخري، قام بالاستحمام بالماء البارد الذي يكرهه وكأنه يعاقب جسده الأثم في كل جزء إستمتع بها مع المرأة ، تحت الماء بدأ في البكاء بكي الرجل الكبير ، حاول أن يستحضر دموعه كلها علها تغسل ذنبه مع الله، كان يعلم ان حال العباد بينهم وبين الله أن بعضهم مكتوب من أهل الجنة والأخر مكتوب من أهل النار وكان دائم الشك قبل تلك الساعة في أي كتاب سجل إسمه، الأن بات علي يقين أن أسمه قد كتب في اهل النار فإن لم يكن ما فعله من عمل أهل النار فما عملهم إذن ؟

إغتسل كما لم يغتسل من قبل وحرص علي تطهير جسده عدة مرات، كان يحلو له مسح تاريخ بحثه المقزز علي الانترنت من تاريخ المواقع الاباحية ولكنه في قرارة نفسه يعلم انه لا يملك زرار مسح لما كتبته الملائكة من ذنوبه، هو الأن يمر بنفس المنعطف، يغسل جسده من أثار الخطيئة فمن الذي يغسل صحيفته من الخطيئة نفسها ،جفف من نفسه وإرتدي ثيابا نظيفة تماما تأكد من أنه لم يعصي الله بها من قبل.

قام بالوضوء وأسبغه بشده ثم إفترش سجادة الصلاة ، قام بالتكبير للصلاة ثم توقف وسلم عن يمينه ويساره، تذكر شيئا ما، ذهب الي سلة القمامة التي ترك بها ثيابه وقام بإخراجها مرة أخري وبدل ملابس الطاعة التي اختارها بملابس المعصية.

حاول ان يسبغ علي تصرفه معني روحيا أنه سيرضي الله ويطيعه بنفس الثياب التي عصاه فيها وفي نفس المكان حتي تشهد له تلك الثياب ويشهد له المكان علي الطاعة، كان يعلم أن المكان يشهد علي الشخص يوم الحساب بما فعل .

يقولون دائما أن أصعب الحرام أوله ثم يسهل ثم يستساغ ثم يؤلف ثم يحلو ثم يطبع علي القلب ثم يبحث القلب عن حرام أخر جديد

هو لازال في المرحلة الأولي او هكذا يظن ، عليه التوقف الأن ، كبر للصلاة مرة أخري ثم قام بالصلاة، حرص علي قراءة أيات من القران فيها إستعطاف لله بالرحمة وجعل صوته فيها شجيا وكأنه يعني طلب الصفح والمغفرة، طاوعته عيناه فبكي

بشدة ، قام بالصلاة خير قيام علي كل اركانها وطقوسها وخشعت جوارحه لصوته واحساسه العميق.

يدرك ان لديه فرصة جديدة، علي الأقل لم يمت أثناء ممارسته الرذيلة ويختم له بسوء الخاتمة حتي ينال سوء العاقبة كذلك، لازال هناك فرصة ان ينجو.

كان يعلم أنه محصن وأن عقابه في ديانته هي الرجم حتي الموت، شعر بالقشريرة تجتاحه بعد اداء الصلاة حينما تذكر تلك العقوبة، الرجم والموت لهذه الخطيئة معناه ان الله يبغضها بشدة ولذلك لم يجعل عقوبتها جلدا او حتي تعذيرا، هو يتساوي بالمشرك والكافر في العقوبة.

حاول أن يبرر لنفسه ان زوجته ليست في متناول يده وانه مغترب وهي علي بعد الاف الأميال وبالتالي يكون في حكم الزاني غير المحصن اي الذي بدون زواج وأقصي عقوبة له هي الجلد، ولكن حجته وان كانت هونت قليلا من تأثره لم تنطلي عليه وبالتأكيد لن يقبلها الله

شعر بأن عليه أن يفعل الكثير حتي يغفر الله له، ربما عليه حفر الف بئر وإطعام ملايين الجوعي ، عليه حماية الفلاحين من برد الشتاء وربما فك اسر الغارمين، ماذا عن الإستغفار؟ ماذا عن القيام ؟ تري هل يستيطع القيام بكل تلك االكفارات التي تستغرق اعواما حتي يكفر عن لذة عشر دقائق فقط وهو في النهاية لم يستمتع

ولكنه لم يرد التهوين من الذنب حيث انه يعلم ان الأمر ليس بصغر المعصية بل بعظمة من تم عصيانه، وكذلك ان الذنب إذا تهاون في نظر المخلوق عظم في نظر

الخالق والعكس صحيح ، هنا من وسط الظلام في قلبه اتته عبارة شيخه التي طالما سمعها منه " لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار" إذن عليه الإستغفار الكثير لساعات وأيام وأسابيع حتي يشعر ان الله قد غفر له

عاد إلي فراشه ، تطلع إلي أثار المعركة الحامية التي دارت بينه وبين (ريناتا) عليه، يشعر بأنه يود لو أحرق الفراش ولكن لابأس لينام عليه ويستغفر ، فعلها عدة مرات علي الفراش ، يتقلب ويطلب المغفرة ، وكأنه يحاول تطهيره في طقوس صوفية يشك أن تفلح.

الأمر بالنسبة له مقلق ، هل يكون حسن الظن بالله ويعتقد ان الاستغفار كافي لمحو أثار هذا الذنب أم لا يأمن مكر الله ويفعل ما هو أكثر.

وماذا لو لم يغفر الله له، إن الله غير مرغم ولا مكره علي المغفرة لعباده، أنت نفسك لو خلقت شيئا ولم تعجبك ستحطمه ولن يمنعك أحد، ماذا سيفعل حينها ؟

المشكلة انه لا يستطيع ان يستكين لهاجس عدم المغفرة ، لو ظن كل انسان عاصي انه لن يغفر له لتحولت البشرية الي غابة ، تخيل من قتل نفسا ويعلم انه ليس له من توبة ، سيذهب ليقتل ثانية وثالثة ورابعة ولن يستطيعون الإحصاء من ورائه أو علي أضعف تقدير سيقتل نفسه تحت وطأة الكآبة واليأس.

شعر بالارتباك، يدرك الأن شعور الشخص بعد قيامه بشيء لا يغتفر، أخذ يتخيل ماذا لو سار الأمر معه بشكل كارثي مثلا، ماذا لو مات بين أحضان تلك الفتاة وبعث علي هذه الحالة إلي ربه، كانت ستتركه عاريا تماما في هيئه المزرية تلك

وسيجده الجيران بعد أن يتغيبوه لفترة وستعلم زوجته بما كان عليه ولن تحتاج الي الكثير من الذكاء لتقدر من أنه كان بصحبة إمراة ، ستصب جام غضبها ولكنه لن يراه ولكنه يعلم أن هذا الحديث عن الزوج والأب الخائن سيصل الي جميع من يعرفهم، حتي الخطاة أنفسهم سيلوكون سيرته مثل العلك قبل أن يبصقوه وقد استنفذوا كل جهدهم.

ماذا لو حدث العكس ؟ ماذا لو ماتت الفتاة في فراشه ؟ ما الذي كان سيفعله حينها في تلك المصيبة الكبري؟ هل كان سيتصل بالشرطة وينتظر التحقيقات والفضيحة؟ أم كان سيهرب الي بلاده في اول طائرة ويظل مطاردا بشبهة جريمة قتل ؟ أم كان سيحملها دون ان يراه اه ويلقيها خلف البناية وكأنه لا يعرفها ؟

أغمض عينيه ممتضعا ومشمئزا من كل الخيارات التي طافت بعقله.

هو يعيش حياة غير متسقة مع نفسه ولذلك اي شيء غير طبيعي سيؤدي وجوده إلي نتائج كارثية في حياته، رغما عنه طاف خياله إلي حيث هي زوجته الأن، تري ماذا تفعل (شهيدة) الأن؟ منذ ان تشاجرا وهو لم يتصل بها، تراها الأن تستمع إلي فيلما هنديا علي شاشة التلفاز بعد نهار شاق بالمستشفي.

لكن لماذا يعتقد هذا ؟

هو لا يجلس ليقرأ كتابا الأن بل خرج من أتون علاقة حميمية قذرة مع فتاة لا يعرفها، ما الذي يدعوه للظن أن (شهيدة) الأن لا تغتسل من أثار معركة مماثلة مع رجل غريب.

هز رأسه وهو يضرب بيده علي جبهته محاولا طرد ذلك الخاطر من عقله ولكنه الأفكار السوداء هاجمته كغربان رأت شيئا لامعا، نعم ما الذي يدعوه أن (شهيدة) ستحفظ عهود الزوجية إن هو لم يحفظها ؟

(شهيدة) مسلمة وهو أيضا مسلم ولم يمنعه دينه من فعل ذلك، هي طبيبة وهو كذلك، هي من أسرة ملتزمة وتؤدي العبادات في وقتها وهو كذلك، هي ليس لديها مكان لممارسة الرذيلة ولكن هل يظن أن ذلك سيمنعها، يمكنها أن تذهب للرجل أو يلتقيا في مكان ما.

هي لن تفعلها لأنها تحبه وهو كذلك لا يكرهها، حسنا هي لن تفعلها لأنها (شهيدة) لأنها أرقي وأكثر تهذبا واحتراما ومن بيت أصيل ولن تشين أباها او أخوتها أو أبنائها.

ولكنه فعل وما أدراه أنها لم تفعل.

وحتي لو كانت لم تفعل حتي الأن ، فما الضمان له أنها لن تفعلها في المستقبل، يعلم العبارة الشهيرة أعمل ما شئت كما تدين تدان، هو فعل وهي ستفعل إن لم يكن اليوم ربما غدا، الفارق أنه فعل ودفع مالا ولم يستمتع وربما هي تفعل ولا تدفع مالا وتستمتع أكثر.

شعر بأنه يود أن يتقيأ فذهب للحمام بسرعة وأفرغ ما في جوفه قبل ان يجلس علي أرضية الحمام الباردة يلتقط شتات نفسه المبعثرة.

شعر بأنه صغيرا جدا في نظر الله ونظر نفسه، هو الطبيب والابن والأب والأخ والصديق والباكستاني المثالي أصبح عارا علي كل ما يحمل اسمه.

شعر أن (شهيدة) أفضل منه بكثير وانه يود ان يصالحها ويعتذر منها، رفع سماعة الهاتف ، أرسل لها رسالة قصيرة بها كلمتان (أحبك ، وأسف) مرت ساعة من الصمت قبل أن يشعر بها تتصل به ، لم يتصور أنها كانت مستيقظة في ذلك التوقيت ، ربما استيقظت لشأن ما وقرأت الرسالة، تري هل كانت بصحبة شخص ما وأبقاها مستيقظة، طرد الخاطر المخجل من عقله وهو يجيبها، القي عليها التحية، شعر بصوتها الحنون يغسله من الداخل، أعتذر منها فأخبرته انها هي من يجب ان تعتذر وانها اشتاقت له كثيرا، بالغ في اظهار إعتذاره وكانه يقل لها انه ارتكب شيئا شنيعا وهي أفضل منه بكثير، بعد حديث طويل وعدها أن يجعل حياتهما أفضل واخبرها أن القادم أجمل

شعر بالراحة قليلا بعد ان تصالح مع زوجته، شعر انه يقيم جدار التزامه الذي انهار مرة واحدة وهذه أول لبنة به ، لقد استمر البناء السابق عشر سنوات قبل أن ينهار ولا يدري كم سيستمر هذا البناء الجديد من سنين أم إن كان سينجح في بنائه من الأساس ؟

ضبط منبهه علي الساعة الخامسة، لم يكن مواظبا علي صلاة الفجر ولكنه شعر أنه عليه الإسيقاظ للصلاة تلك الليلة، كان يفصله عن الموعد ثلاث ساعات، لا تكفي للنوم ولكنه اعتبر أن الأمر إختبار لقبول الله له مرة أخري

إن استيقظ في الموعد هذا معناه ان الله قد قبل عودته وأحب لقائه.

إن فاتته الصلاة ولم يستيقظ هذا معناه ان الله غاضب منه بشده ولا يرغب في لقائه ضبط المنبه.

ثم تولي علي فراشه وتوسد يمناه ونام.

سيري الأن أمره مع الله

ولعله خيرا

الفصل الرابع
(نهر حتي المصب)

حينما فتح عينيه في الصباح لم يتذكر في أول لحظات ما حدث بالأمس قبل أن تستعيد ذاكرته الأمر بسرعة، كان ضوء الشمس قد داعب ملامح وجهه، شعر بأشعتها الدافئة تلمسه، لو كان في ليلة أخري لابتسم في طمأنينة وربما داعب عانته قليلا ولكن هذا الضوء الساخن يعني فقط أنه لم يستيقظ لصلاة الفجر.

تري هل الله لم يتقبل عودته ؟

أم ان الذنب أثقله عن القيام للصلاة ؟

أم انه كان فقط مرهق جسديا وذهنيا وإستسلم لطبيعة جسمه البشرية فلم يسمع صوت جرس المنبه، لا يعلم ولكنه شعر بالضيق يجتاحه، قام بسرعة وتوضأ ثم صلي الصبح قضاءًا، لا يشعر بنفس خشوع الأمس، ماذا يفعل الأن؟ يشعر أنه لن يستطيع أن يقابل زملائه بالعمل أو حتي جيرانه بوجهه الجديد، بالطبع لن يعلم أحد بما حدث بينه وبين (ريناتا) بالأمس ولكن مظهره الجديد يوحي بالإنحراف ، سيسأله الجميع عن لحيته أين ذهبت، هل سيخبرهم أنها ذهبت إلي البالوعة كما ذهب شرفه.

عجيب أمر الشرف، يساوي فيه الدين بين الرجل والمرأة بينما يفرق فيه العرف بينهما، المرأة لو إرتكبت أقل قدرا من المعصية كأن ارتدت ثوبا ضيقا أو ضحكت

بصوت خليع سلطت عليها الألسنة باللعن ترجمها بينما الرجل يمكن أن يكون متزوجا وذو اولاد ويرتكب خطيئة الزنا ولا يملك المجتمع له سوي إنتحال الأعذار.

كان يحلو له أن يسأل صديقه (عمر) عن فلسفته التي يحلل لنفسه بها ممارسة الرذيلة وكان (عمر) يتشدق بعبارات ما قرأها علي الانترنت تقول :

كنت اخاف في البداية من فعل الخطيئة وكنت أسمع المرأة تقول كيف أنهم يعدون المراة التي تضاجع الف رجل عاهرة والرجل الذي يضاجع ألف إمرأة بطل حتي قرأت تلك العبارة إن القفل الذي ينفتح لأي مفتاح هو قفل سيء أما المفتاح الذي يفتح ألف قفل فهو مفتاح خارق وأنا مفتاح خارق.

كان (عمر) يلقي بعبارته ويضحك، هذا الصديق المتدين العربيد يسخر من أدائه بالمعصية ويجاهر بها كذلك وكأن الأمر عدم تقدير لشعائر الله.

لكن حقيقة الأمر أن شرف الرجل مثل شرف المرأة ، لا يصح التفريط به، وجزئه مثل كله، لماذا لا يسامح الرجل زوجته إن كانت قد قبلت أحدا ما من قبله بينما تسامحه هي وهي تعرف أنه ربما قد عاشر أخريات معاشرة كاملة من قبله.

كان قد أقترب بسيارته من المستشفي ، فتقدم نحو مكانه المفضل لصف السيارات ثم ترجل منها ودخل بسرعة، كانت موظفات الإستقبال أول من لاحظن منظره الجديد، علت وجههن إبتسامات وتندرت عليه إثنتان من بعيد بينما نظرت له الثالثة في إعجاب واضح.

لم يكن منظره قبيحا ولا وسيما، كان عاديان ذو بشرة بيضاء، وملامح رفيعة ،عيناه عسليتان ،دقيق الأنف وغليظ الحاجبان، وكانت لحيته تضفي عليه بضع سنوات إضافية ولكنه الأن إستعاد تلك السنوات مرة أخري، جميل أن يعود الإنسان بالزمن شكلًا ولكن الأجمل أن يعود به موضوعًا.

حياته وأفعاله وأقواله مثل النهر المتقدم في مجراه، لا تجري المياه في نفس البقعة مرتان ، ولا يعود الماء للمنبع مرة أخري، هو يسير حتي المصب وبالتالي ما حدث بالأمس بينه وبين (ريناتا) لن يمحو ولن يستعيده ليغيره،

ألقي التحية علي موظفات الإستقبال اللاتي سألنه عن سر تغير مظهره وإن أبدين إعجابا بمظهره الجديد، تعمدت الفتاة التي نظرت له بإعجاب أن تصافحه في حرارة وأرسلت بضغطة إصبع صغير رسالة إلي يده أنها تود أن تلمس ما هو أكثر.

سحب يده بسرعة، لقد خرج لتوه من معصية ولا يزال ضعيفا وبدت بشائر عدم قبول التوبة تلوح أمامه فلا يريد أن يزيد علي ذنوبه ذنوب بإقتراف علاقة جديدة مع فتاة مثلها.

كانت فلبينة ممشوقة القوام من النوع الذي يعجبه في المعتاد وبالتأكيد هي تشتهيه الأن ،بعض أبناء هذ الجنسية متزوجات أو مرتبطات في بلادهن فإذا اتين الي بلاد الغربة تظاهرن بأنهن خاليات حتي لا يضعن علي انفسهن الفرص.

ذهب ليباشر أعماله الروتينية التقليدية وتفقد عدد من الحالات التي تحتاج لإهتمامه حتي انتصف النهار ثم تناول وجبة الغداء في مقصف المستشفي قبل أن يلوذ بمكتبه منهكا وهناك أخذ يفكر من جديد في ليلة الأمس

إن لم يقبل الله عودته وتوبته ماذا عليه ان يفعل ؟

ولكن لما لا يقبل الله توبته ؟ هو لم يسرق ولم يشرب خمرا وحتي في تلك يقبل الله التوبة، هو لم يهز عرش الرحمن بلواط ولم يقتل نفسا ، ولم يمارس سحرا ولم يشرك بالله شيئا، ولكن مهلا ، من قال أنه لم يشرك بالله، لقد ذكر الله في كتابه العزيز أن الإنسان يمكن أن يتخذ إلهه هواه، هو سعي إلي طلب الشهوة وجعلها إلها له ونسي خالقه في غمرة اللذة المستباحة

إذن هو يمكن ان يكون قد كتب من اهل النار الأن ؟

ولكن حتي السارق له توبة

والقاتل له توبة

وحسبما يعلم الزاني له توبة

ولكنه لم يستيقظ لصلاة الفجر وتفسيره لذلك أن الله قد كره لقائه، ماذا عليه ان يفعل؟ هل يطرق باب الله مرة أخري؟ نعم سيفعلها، سيطلب صلاة الفجر الليلة التالية، سيمكث علي باب الله حتي يأذن له بالدخول، كم سيمكث ؟ لا يدري، ولكن لمدمن الطرق علي الأبواب أن يلج، سيظل يفعلها كل ليلة والله كريم منان لن يدعه علي الباب كثيرا ، كان يدعو الله بغمغة حتي لا يسمعه احد بأن يغفر له، وتمني

لو أجاد العربية حتي يخاطب الله بكثير من حسن أدعية الصحابة والتابعين من السلف الصالح ولكنه علي يقين أن الله يحب الدعاء بأي لغة كان حتي لو لغة العيون المنكسرة والقلوب الخاشية

ولكن ماذا لو تيقن له ان الله لم يتقبل توبته وإنه من المطرودين من رحمة الله ؟

الخاطر صعب علي نفسه ، معني الطرد من رحمة الله أنه صار هو وإبليس سواء، لا يمكن أن يصدق أنه وهو المؤمن الموحد المجتهد في العبادة طوال ثلاثين عاما يذهب الي النار ليجاور الكافر والمشرك مثله مثلهما، نعم يعلم أن النار دركات كما هي الجنة درجات ولكنه كونه في درك أعلي لا يعني أنه أفضل حالا، الناس يتمنون الجنة حتي لو مكثوا علي الأبواب، ولو منح أحدهم أقل درجة في الجنة لكفته ولكن لو منحت أعلي درك من النار وهي أقل درجات العذاب فهذا ليس بالشيء الحسن، إنك لا تزال تعذب، هو لا يصبر علي حرق شمعة لأصبعه، فما بالك بنار مسعرة منذ الألاف السنين.

امتقع وجهه عند ذلك الخاطر وهو يهمس لنفسه :

– ولكن المؤمنين ليسوا مخلدين في النار ، سيمنح الله العفو لبعضهم بعد فترة.

ولكن الأمر ليس بالمسري عنه، ما مقدار تلك الفترة هل هي عامان ، ثلاثة ، عشرة، الف عام، مليون عام، النار والجنة المكوث فيهما أبدي أي أنه إلي ما لا نهاية، وهذا معناه أنه يمكنه ان يعذب لعدة ملايين من السنين ثم يذهب للجنة ،هل يحتمل هو ثانية واحدة في النار.

سرت قشعريرة في جسده وهو ينقر بعصبية علي سطح مكتبه، لا يستطيع تجاهل الأفكار التي تأتيه ، يتعجب من شأن الغافلين في الدنيا والمغرقين في الذنوب، يعصون ويعصون بلا توبة، يغترفون من بحار الشهوات ويسبحون في بحيرات الخطايا بلا وجل ولا تأنيب من ضمير، لقد سمع عن إناس يهتكون محارمهم الأقربين، قرا قصة عن رجل إقترف الفاحشة في صحن مسجد، هل يساوي هو بهؤلاء ؟

حسنا وليفترض ان الله لن يغفر له، ماذا عليه ان يفعل الأن ؟هل يلوذ بأعالي الجبال هاربا من الندم أم يغرق نفسه في الشهوات مثل الثوب الذي انقطع ولا يجوز رتقه فلا يضره الكثير من الثقوب الإضافية ؟

لا يستيطع أن يستسلم لذلك الخاطر، يريد أن يطرد الشيطان لا أن يطرده الشيطان، تسائل في قرارة نفسه،هل حينما كان هو و (ريناتا) سويا كان الشيطان ثالثهما ؟ أم هو وهي ونفسه ؟ ربما كانوا أربعه ؟هو وهي نفسه وهواها، أو خمسة ؟هو وهي ونفسه ونفسها والشيطان؟ لا بل كانوا ستة ؟ هو وهي ونفسه ونفسها والشيطان والله يراقب، الله كان موجودا، ولكن لما لم يمنعه الله من المعصية، لماذا لم يرسل له إتصالا مفاجئا او رسالة تحذير أو حتي يصيبه بمرض يقعده عن اداء الفاحشة.

لكن مهلا، لقد منعه الله كثيرا من قبل، ربما مل الله منه وتركه لنفسه ولكن الله لا يمل ولا يترك المؤمن، إذن ربما الله اعطاه اختبارا وهو قد فشل في ذلك الإختبار بإمتياز.

هل يمكن إعادة الإختبار ؟ بالتأكيد يمكن ، هو لازال في الدنيا ولم يذهب إلي الأخرة بعد، في الدنيا يمكن دائما إداء إختبار إضافي، (وحشي) ذلك العبد الحبشي الذي قتل سيد الشهداء (حمزة بن عبد المطلب) حينما تلاقيا في معركة (أحد) ، كان قتل (حمزة) كبيرة من الكبائر ولكن (وحشي) بعدها أسلم وحسن إسلامه بل وساهم في قتل (مسيلمة الكذاب) مدعي النبوة فيما بعد ، فكفر عن قتله لشخص حسن بقتله لشخص سيء

ولكن في أمر (وحشي) كان الأمر مختلفا، فهو قد أسلم والاسلام يجب ويغفر ما قبله أيا كان، أما هو فمسلم فعليا فما الذي عليه فعله ، هل ينطق الشهادتين بنية الدخول في الاسلام ويلتزم مرة أخري، ولكنه لم يخرج حتي يدخل مرة أخري،، ثم أن الأمر مختلف هو فعل الفاحشة وهو مسلم ويعلم حظرها وذنبها، اذن ليس له الدفع أمام الله بالجهل او بالخطأ مثل (وحشي).

ربما عليه التكفير عن ذنبه بفعل ما يعاكسه ، مثلما فعل (وحشي) ولكن كيف يعاكس حادثة الزنا ؟ ما الذي عليه فعله لن يصلح الأمر زواجه منها وهو لا يريد وهي لن ترغب ، ما الذي يعاكس الزنا، ما الذي يعاكس الزنا، هو العفاف ولكن كيف يفعله ، ما الطريقة ؟

أخذ يفكر كثيرا قبل أن يهتدي عقله لفكرة وهي أن يهدي فتاة او فتي يمارس الفاحشة للطريق المستقيم ، هذا سيعاكس ما فعله وربما يتسبب في الغفران له،

ولكن من وكيف سيهتدي له أو لها ثم كيف سيقنعه وهو الذي فشل في إقناع صديقه الحميم (عمر) في الإقلاع عن ذنبه.

حسنا هناك حل أخر، يمكن أن يعف فتي او فتاة بالتكفل بمصاريف زواجهما ولكن هذا مكلف له ولن يستطيع فعله هنا، ربما بعد العودة إلي (باكستان).

أخيرا أهتدي عقله إلي فكرة ما، حسنا عليه أن يبرهن لله علي توبته النصوح، يجب أن يتواجد في مكان ما متاح له نفس المعصية ويمتنع عنها بملء ارادته، ما الذي يفعله هل يطلب فتاة جديدة ويمتنع عنها ولكن هذا ليس نفس الشيء ، فضلا علي أنه سيدفع مالا من جديد لوقتها وهو لا يريد، حسنا ليتصل بالفتاة نفسها (ريناتا) ويدعوها للعشاء بمنزله، يبدو أنها رغبت بصداقته وحينما يتواجدا معا لن يلمسها بل وربما يهديها علي يده فيعكس حادثة الزنا التي فعلها

تأكد من ظهور رقم (ريناتا) عنده قبل ان يرسل لها رسالة علي الفايبر قائلا :

- مرحبا.

انتظر طويلا دون ان تجيب عليه،حتي مل وانصرف الي استكمال يومه، بعدما انهي نوبة عملة ذهب بسرعة إلي المنزل وتحادث مع زوجته وأطفاله لساعات طويلة قبل ان يخلد الي النوم مبكرا، بينما هو يستعد للنوم جائته رسالة علي الفايبر تقول :

- مرحبا، عذرا كنت منشغلة طوال اليوم فلم أري رسالتك

كانت رسالة من (ريناتا) ابتسم حينما رأها رغما عنه، تسائل بينه وبين نفسه كيف تكتب باللغة الانجليزية وكيف فهمت عبارته ثم قدر أنها ربما تستخدم برنامج ترجمة من نوع ما ، عاد يكتب لها :

– لا عليك ، كيف كان يومك؟

– جيد ، ولكني تشاجرت مع مديرتي اليوم

– لماذا ؟

– لا شيء، فقط انت تعلم أني لا اتحدث الانجليزية وكان هناك زبون يرغبني وحدث بينهماحوار ما لم أفهمه. وتضايقت حينما أنصرف الزبون ولم افهم ما الذي قاله بالضبط.

– العيب ليس منها، أنت يجب عليك تكلم اللغة الانجليزية طالما قررت مغادرة بلادك الي بلاد غريبة

– معك كل الحق، ولكني حاولت تعلم الإنجليزية لسنين وفشلت، حتي الروسية تعلمتها لسنتين وفشلت ،أنا غبية جدا في اللغات مع أني ذكية في باقي العلوم جميعها.

– لابأس، ليس كل البشر متميزون باللغات

– هل تتحدث أي لغة غير الانجليزية ؟

– نعم لغتي الأم ، لغة الاوردو، أنت تتحدثين لغة الباهاسا فقط اليس كذلك ؟

جاوبه صمتها لفترة طويلة حتي ظن أن الحديث أنتهي فأغلق عينيه ونام بعمق، لم يكن يود أن يفوت صلاة الفجر مثلما حدث بالامس، شرب كمية كبيرة من المياه حتي يضمن أن توقظه الحاجة للذهاب للحمام قرب صلاة الفجر كما ضبط منبهه وهاتفه علي موعد الصلاة، لابد أن يفعلها الليلة، سيظل بالباب حتي يرضي الله عنه لحسن طالعه إستجاب جسمه للقيام عند سماع صوت المنبه وقام ليفرغ مثانته التي ألمته قبل ان يتوضأ ويصلي الفجر في خشوع.

بعدما أنهي الصلاة وفرغ من الأدعية قام لمعاودة النوم قليلا قبل الذهاب الي العمل ، تفقد هاتفه في حركة غريزية، وجد رسالة منها أتت متأخرة ، لابد أنها انشغلت بأمر ما أو قاطعها شيء اثناء الحديث ثم عاودت ارسالها حينما فرغت، كتبت له :

– أريد ان اعترف لك بسر ، أنا لست ماليزية، أنا صينية ولكن مديرتي قالت لي ألا اقول أني صينية حتي لا يرخص ثمني في المساومة.

تعجب من مصارحتها له بالأمر وتيقن أنها وثقت به بشكل ما، ولكن كشفها للسر فسر له العديد من الأمور ، تلك الحركة التي تفعلها بلسانها طوال الوقت لم تكن للمداعبة، الصينيون يفعلونها كثيرا كعادة لديهم، كما أن نظامها الشديد وانضباطها في العمل وحفاظها علي النظافة تلك من عادات الصينين الأصيلة

كتب لها علي الفايبر:

– شكرا لك علي مصارحتك إياي، أنا احترمك واعتز بصداقتك أيا كانت جنسيتك.

ترك هاتفه الي جواره ثم استسلم لنومه مرة اخري.

في الصباح التالي استيقظ نشيطا نوعا ما مع وخزة ضمير أقل مما سبق،لقد رضي الله لقائه واستيقظ وربما هذا دلالة علي الغفران ، مر يومه بالعمل عاديا حتي نهايته ، كان الجميع يتعجبون من تركه للحيته ولكن أحد منهم لم يطلب منه العودة لها، قرر العودة لها متي كان مستعدا، طوال اليومين السابقين لم يشاهد أي مواد اباحية من تأثير رغبته في التوبة ولكن شيطانه تلاعب به أخر الليل ليوحي له أن الامتناع المفاجيء عن كل شيء سيؤدي إلي انتكاسة فيما بعد ليعود بعدها لفعل المحرمات ولذا لابأس من قليل من النظر لصور ما، عاد إلي بداياته الأولي القصص الجنسية بإعتبارها أخف ضررا.

كان يعلم لعبة الشيطان التقليدية بجره الي الذنوب عن طريق اصغرها ثم اكبر منها فأكبر منها حتي يجره الي الهاوية ورغم لعبه نفس اللعبة مع الشيطان طوال ثلاثين عاما إلا أنه في كل مره يستسلم لها

قرأ قصة عن علاقة شاب بفتاة أسيوية فتذكر (ريناتا) ، أرسل لها رسالة تقول :

- هل لازلت متضايقة ؟

لم يأته الرد منها فصمت قليلا وهو يفكر ما الذي تفعله الأن ، كانت الساعة العاشرة مساءا، بالتأكيد هي مع رجل ما الأن، تري هل تعامله ببرود أم بحرارة، هل تحب العاهرة مهنتها أم هي مجرد مهنة، بالتاكيد ليس كل الرجال سواء، ربما لن تشتاق بائعة الهوي لرجل سمين ذو رائحة منتنة، ولكن ماذا لو مارست الجنس مع

شاب رياضي وسيم ورائحته طيبة، ربما تتعلق به، ربما تمارس معه الجنس بحب وشغف، بل وربما تمنحه إياه مجانا.

ما الذي تفعله الأن يا تري ؟ هل هي مع شخص أخر، هل هذا الشخص مثله، ربما يكون طبيب أو مهندس أو حتي معلم، تري ما جنسيته وما شكله، هل يوجد جنسيات بعينها تقبل علي الأمر؟ هل هناك فئة عمرية ما تفعلها دون غيرها ؟ يعلم أن بعض كبار السن يفعلونها وهو شيء صعب أن رجل بسن كبير يدفع المال لعلاقة عابرة مع بائعة هوي.

الكثير من الأسئلة زاحمت عقله قبل ان يفيق منها علي رسالة أتته منها بعد نصف ساعة كاملة لتقول :

– لا انا بخير الأن، لكن كما قلت علي تعلم اللغة الانجليزية

– هل انت متفرغة غدا؟

– لماذا؟

– يمكننا تناول العشاء معا ومشاهدة فيلم والحديث مثل أي أصدقاء.

– حسنا لو لم يكن لدي عمل غدا سأخبرك.

– جيد، سأنتظر رسالتك.

أنهي حديثه معها وهو يحاول أن يضع نفسه في موقفها ويري مهنتها من وجهة نظرها، هي تعتبر وظيفتها المشينة تلك شيئا عاديا بل وترغب فيها بشدة وذلك من أجل أن تحصل علي أموال أكثر تساعدها علي معيشتها وعلي تحقيق أحلامها، الأمر

غريب، كيف تتقبل أن تفعل مثل ذلك الأمر مع أي رجل عابر مهما كان شكله وطريقته ، بل كيف تتحمل أي إمرأة ذلك علي الإطلاق.

ماذا عن جدول يومها؟ هل ينتظرن هكذا طوال اليوم منتظرين الرزق الحرام أم يخرجن للسعي له، في (الشارقة) هناك التزام ما ، ولذا لن تفعلها أي فتاة وإلا عرضت نفسها للسجن، في (دبي) الأمر سهل ، يقمن بذلك في أي بار أو كازينو بل وهناك شوارع كاملة مخصصة لذلك، هناك شبكة واسعة أيضا من موظفي الفنادق تتواطيء مع فتيات الليل لتسهيل تلك المهمة لهن.

شعر نحوها بالتعاطف، يكره لها هذه المهنة وفي نفس الوقت يعلم رغبتها للمال، تري بماذا يدعو الله لها ؟ بأن يتيسر رزقها أم يتعسر ، الأفضل أن يدعو الله لها أن يبدلها رزقا خيرا من ذلك ولكن هو عاصي لله، فهل يتقبل الله منه دعائه؟

تفكر في الأمر قليلا، خاطيء يدعو لعاهرة، للوهلة الأولي ظن أن الأمر هذا غريب ولكنه حينما أعاد التفكر فيه ابتسم يعلم ان الله سيقبله منه لأنه من مسكين يدعو لمسكينة.

مضي به الوقت دون أن يشعر بنفسه ، هو متذبذب بين الخطيئة وعدم الخطيئة، أصبح ضعيفا جدا، في الماضي كان متذبذا بين فعل الحسنات وعدم فعلها ثم إنتقل إلي مرحلة اوهن ما بين عدم فعل الحسنات وفعل السيئات والأن توقف عن الحسنات وصار بين فعل السيئات وعدم فعلها.

كان ضوء النهار قد تسلل من خلال زجاج النافذة لينير الغرفه لديه فقام وتحمم ثم أرتدي ثيابه وشرب قهوته الصباحية وهو يغادر الي العمل.

كان يومه في العمل هينا، ليس هناك من مرضي كثيرون، هذه بلاد صحية والناس فيها يشكون من أمراض إفراط الصحة وليس من أمراض الفقراء، لن تأتيه إمراة هنا ضربها زوجها حتي أسقطت حملها ولن تأتيه إمراة لديها فقر دم مزمن ونزيف، يا ليت (باكستان) كانت مثل الإمارات في الصحة

انتبه إلي أن الساعة قد قاربت الرابعة عصرا وتذكر موعده مع (ريناتا) فقام بإرسال رسالة لها ليتأكد أنها مستعدة فأخبرته أن يمر عليها في المكان الذي تسكن فيه.

قدر أنه يجب ان يكون الشخص الذي يذهب هذه المرة فقد انتقل من خانة العملاء إلي خانة الأصدقاء لديها، تري هل لديها أكثر من صديق أم هو فقط ؟

كان العنوان الذي أرسلته له غير ذي بعيد منه، توجه بسيارته هناك، تلك بناية صغيرة بأسفلها محل لبيع الملابس والمفروشات ، رأها تخرج من البناية وهي ترتدي زيا رسميا، لاشك أنها بائعة هناك ورأها تحمل حقيبتها التقليدية علي ظهرها ، تري ما الذي بتلك الحقيبة حتي تحرص عليه علي هذا النحو ؟ ربما هي فقط أدوات عملها، الفتاة يجب أن تكون مستعدة دائما فلا تدري متي ستجد زبون أمامها ، قد تقابله في أي مكان،هذه مهنة يمكن اجراء صفقاتها في اي مكان علي الارض حتي داخل في ملاجيء الحرب تحت قصف المدافع أحيانا.

بدا أنها لم تتعرفه فقد تلفتت حولها في حيرة قبل ان يشير لها بيده لتأتيه مسرعة وقد أشرق وجهها بإبتسامة، إتخذت مكانها إلي جواره في السيارة وهي تصافحه قائلة :

- مرحبا

نطقتها بعربية مكسرة ، هذه الفتاة لن تجيد أي لغة بهذه الطريقة ، أخرجت لسانها كالمعتاد مع كلمتها ولم يعد يندهش للحركة التي تفعلها فهو قد عرف أنها صينية وعليه من الأن توقع كل ما هو صيني ، الغريب أن الإنسان يميل الي التعامل مع القوالب الثابتة، هي اعترفت له بأنها صينية ولذا كل ما ستفعله سيميل الي اعتباره صينيا تقليديا وسيتوقع منها أن تكون صينية في كل شيء، ماذا لو اخبرته ان جذورها أفريقية كان ليتوقع منها الرقص مثل رجال الأدغال السمر حول حلقة نار، تلك ألعاب عقلية تلقائية يمارسها الإنسان بنفسه.

سألته عبر جهازها العجيب :

- إلي أين سنذهب ؟

- إلي منزلي، يمكننا شراء الطعام وتناوله هناك

هزت رأسها موافقة وهي تكرر إبتسامتها، تفكر في قرارة نفسه ، تري هل وثقت به حقا ؟ هي بائعة هوي ، ربما غير محترفة ولكن بالتأكيد مر عليها عشرات الرجال ومنهم الخبيث والطيب، لو دعاها أيا منهم الي الغداء بمنزله ، هل تتوقع أن الأمر سيكون مجرد غداء أم أنه سينتهي إلي شيء أخر ولو أنتهي إلي شيء أخر هل ستطلب الثمن أم ستكون وجبة الغداء هي الثمن ذاته، لا يعرف إلا لو جرب وحاول معها

ولكنه لن يفعل، هو يريديها هناك بين يديه دون أن يفعل شيئا حتي يكفر عن اللحظة التي ضعف فيها أمامها.

عطف في طريقه علي مطعم شهير يبيع الوجبات الجاهزة وسألها ماذا تريد ؟ لم تجيد التعبير عن نفسها، فأسرعت تلتقط القائمة وتنظر الي الصور قبل ان تشير إلي إحداها في سرعة، كانت تطلب وجبة عائلية من الحجم الكبير، الفتاة نحيفة بلا شك ولكن لابد أن شهيتها قوية للغاية، ربما بسبب طبيعة عملها التي تستلزم بذل مجهود عنيف

قاما بالإنتظار دقائق ريثما تم تجهيز طلبهما ثم غادر بها مسرعا إلي منزله، حينما ولجا إلي المنزل بدت الفتاة أكثر تحررا من ذي قبل، أسرعت تتجه من تلقاء نفسها إلي دورة المياه مع حقيبتها، لم تغلق الباب علي نفسها ولا تظن بأنها بحاجة أن تفعل ، هي في مهنة التجرد من الثياب ، إذن أدق خصوصياتها مكشوفة، تلك فتاة تخلصت من قيد الخصوصية منذ زمن.

دلف هو للمطبخ حتي يفرغ الطعام في أطباق ويجهز ملحقات أضافية له، فوجيء بها تخرج من الحمام وهي نصف عارية، فقط تحتفظ بملابسها الداخلية وهي تمسح جسدها بمحارم مبللة ، يبدو أنها تعرقت بشدة وتحاول التخلص من رائحة العرق ورغم أنه راها عارية تماما من قبل إلا انه للعجب وجد نفسه يغض بصره ويصرف نظره عنها إلي الطعام، دلفت خلفه الي المطبخ قبل أن تصيح بعبارة ما بالصينية لم يفهمها ولكن تعبيرات وجهها وصوتها دلا علي دهشتها وإنزعاجها

نظر لها مستفسرا فقامت بترجمة العبارة علي جهازها قائلة :

– ما هذه الفوضي؟

نظر فيما حوله وقد تأكد من صحة عبارتها ، المطبخ فوضوي بشكل كبير، الكثير من الأطباق المتسخة هنا وهناك، بقايا طعام متناثرة، بقع الزيت والدهن علي أسطح المطبخ،هناك رقعة ماء قديمة علي الأرض، هذا كابوس لأي إمراة، لم يكن منظما بطبيعته ولكن في الأيام الاخيرة ونتيجة لتخبطه في حياته لم يكترث كثيرا بنظافة المكان وها هي قد ضبطته بالجرم المشهود.

إعتذر لها وهو يخرج بها من المطبخ حاملا الطعام ومتحاشيا أن ينظر إلي جسدها قد الإمكان، لم تقم هي بتغطية جسدها، هي تعرف أنه قد تعرف عليه بشدة من قبل فلم تخبئه الأن، هو قد أهتدي وهي لم تفعل ولا تريد ان تفعل

جلست الي جواره علي أريكة واسعة امامها مائدة منخفضة وانهمك هو في رص الأطباق بشكل ملائم ومتناسب تاركا لها نصيب الأسد من الغداء، ثم أشار لها أن تأكل، مدت يدها بغير جحل ترفع الطعام بسرعة من فاته موعد إلي فمها، بين حين وأخر تري خضارا لا تعرفه فتقوم بسؤاله عبر جهازها المترجم عن ماهيته ليجيبها عليه أو يريها اسمه بالصينية بإستخدام صور جوجل.

أنهي طعامه قبلها ولكنه تظاهر بأنه يواصل طعامه حتي لا يحرجها وهما يتبادلان الكلام والحديث بين حين وأخر بتلك الطريقة العجيبة، من قال أن هناك مشاكل في

التواصل بين البشر، إن القلوب إذا ألفت قام العقل علي الفور بالتواصل حتي ولو بدون كلمات.

حينما أنتهت قام برفع الطعام وسألها إن كانت تود أن تشرب قدحا من الشاي معه، رحبت بحبور شديد ولم يتعجب فهي صينية علي كل حال وبلدها منشأ زراعة الشاي في العالم.

قام بإعداد قدحين من الشاي الأخضر لهما ، كانت تشربه بدون سكر علي خلافه هو ، تناولت القدح منه وهي تمنحه إبتسامة عذبة علي اهتمامه بها وهي تقول عبر جهازها :

- شكرا علي كل شيء فعلته.

- هذا لا شيء.

- أنت صديق رائع وأنا مسرورة بمعرفتك

- وأنت أيضا صديقة رائعة

- لدي فقط تعليق صغير عليك

- ما هو ؟

- أنت إنسان غير صحي

- كيف؟ أنا أهتم بصحتي ، أنا طبيب

- لم أعني ذلك، الصحة تأتي في صورة مختلفة، أنت فراشك غير مهندم ومطبخك غاية في القذارة وحتي حمامك ليس بأحسن حالاته ، لا اظن أنك تمارس الرياضة

كذلك كما أنك حزين علي الدوام وتشعر بالضغوط ، كل هذه ظروف غير صحية ليحيا بها الإنسان.

- صدقت، سأحاول أن أتغير تدريجيا.

- لا تفعل ذلك من أجلي ، بل من أجل نفسك.

- حسنا، أنت فتاة تعرفين الكثير وكلامك في محله.

- حينما كنت بالصين كان جزء من برنامجي الدراسي أن اذهب إلي السجون لإلقاء دروس توعية للسجناء هناك، أختاروا لي سجن المراهقين لأنهم الأقرب إلي سني، كنت دائما أنظر إلي تلك الوجوه الشابة التعسة وأقل لهم أنتم نتاج إختياراتكم ، لا تلوموا الظروف والإمكانيات طوال الوقت، الظروف لم تسألك النوم لساعات طويلة فوق المعتاد ، الظروف لم تسألك أن تاكل مأكولات تضر بصحتك، الظروف لم تفرض عليك صديقا بعينه.

سألها في دهشة :

- يبدو أنك مررت بالكثير وشاهدت الكثير.

- لا ، المعتاد ، ولكني أقرأ كثيرا حتي أتعلم عن العالم كما أنني أسافر كثيرًا

- حقا ، أي البلاد كنت من قبل غير الإمارات ؟

- سنغافورة، ماليزيا ، فيتنام وغيرها

- هذا جدير بالإعجاب

- وأنت؟

- انا فقط أندونيسيا والإمارات

- أنت لديك وظيفة رائعة وعمل جيد كما أنك تبدو إنسانًا جيدًا ، هذه الكثير من الامور الحسنة لتحافظ عليها، ربما أصعب شيء عليك أنك أفغاني ولكن اتمني لبلدك أن تجد السلام يوما ما.

كنت يهم بأن يعترف لها أنه قد كذب عليها وأنه باكستاني وليس أفغاني ولكنه تراجع عن ذلك، لا يريد أن يظهر أمامها بأنه كاذب، ولكن هل ستعتبره كاذب ؟ بالعكس ستعتبره صادق معها الأن بعدما كان كاذبا ولكن ماذا لو أن إعترافه لها بأنه كذب سيلقي ظلالا من الشك لديها عن كل ما يقوله لاحقا، الأمر معقد، كما أن الأفضل لها أن تسير بأعتقاد أن الأفغان صادقون علي أن تعتقد ان الباكستانيون كاذبون، وفي كل الأحوال، هذا الأعتراف لن يغير من ما بينهما شيء، هو لا يدرك الفرق بين البورندي والرواندي، الاثنان بالنسبة له أفارقة سود.

طال بهما الحديث وتشعب ، عرض عليها أن يشاهدا فيلما سويا، فقبلت بترحيب، هذه الفتاة تحب صحبته بلا شك، إنتبه أنها لم تزال بملابسها الداخلية ولكن إنهماكه في الحديث أنساه أنها بهذا الشكل، صار جسدها عاديا بالنسبة له، تري هل لم تعد تثيره ؟ أم أن صداقته الجديدة لها محت علاقته القديمة معها ؟ تري هل تاب حقًا ؟ يود ذلك في قرارة قلبه لعله يكون قد عاد إلي روضة ربه وقبله بها.

قام بإستحضار فيلما من مكتبته، كان كلاسيكيا في أفلامه ، قام بتشغيل فيلم (القافز) وأستمتع به معها كثيرا، رأها تنظر للفيلم وكانها مسحورة وبين حين وأخر

تمد يدها لتأكل من فاكهة وضعها أمامهما، مر بالفيلم مشهد ساخن للبطل مع صديقته، عادة في مثل تلك المواقف حينما يمر مشهد مشابه ، يتحرك الشيطان ليوقظ الغرائز وتلتحم الأجساد، وهو هنا وهي أيضا وبالتأكيد الشيطان ليس ببعيد ولكن من سيبدأ الخطوة الأولي ؟ هو لن يفعلها ، حافظ علي ضبط نفسه، وهي لم تبدي أي تغييرًا في وجهها أو تعلق علي المشهد حتي مر بسلام ، ربما كان الشيطان نائما او وكل أمرهما لهما.

في منتصف الفيلم توقفت لترد علي مكالمة هاتفية، تحدثت بالصينية مع سيدة ما في غضب لدقائق قبل أن تلين ملامحها وهي تتحدث بهدوء ثم تغلق الهاتف وتنظر له مخرجة لسانها كالعادة ثم تقول :

– لقد تصالحت مع مديرتي ، لدي عمل الأن وعلي الذهاب.

قام متثاقلًا وهو يصطحبها إلي سيارته لتوصيلها إلي المكان الذي أقلها منه، في الطريق كانت منشغلة بالكتابة علي تطبيق ما لعدة أشخاص، نظر لها نظرة خاطفة قبل أن يركز في قيادته وإن تنازعته عدة أفكار.

لقد حضرت إلي بيته هذه المرة ولم يحاول معها فهل معني هذا أنه قد تاب حقا أم زهد منها ؟ لن يعرف أبدا ، تري هل لو حاول معها وصدته يعتبر هذا ذنبا أم أن الذنب فقط بإقترافه حتي النهاية؟ تري ماذا لو حاولت معه وصدها أيعتبر هذا تكفيرا عن ذنبه السابق معها ؟ تلك أسئلة لن يعرف إجابتها أبدا.

مشكلة علماء الدين أنك حين تلجا لهم بحثا عن إجابة وافية لمثل تلك الأمور لا يفيدونك بشيء علي الأطلاق، إجابات عامة لا تغيث الملهوف، عبارات مطاطة لا تنقذ الغريق، هم لا يعرفون وبالتأكيد لن يثق بشيخ أفاق يخبره أن اذهب فقد غفر لك ، وإلا لأودي بنفسه الي التهلكة، يود أن يتعرف علي شيخا بينه وبين الله حبل متين حتي يسأله ويثق بإجابته ، عليه البحث عن أحدهم فهو يريد إجابة شافية.

تسائل أيضا هل يشعر بإرتياح وهو يقل الفتاة الأن إلي مكان يعلم أنها ستمارس فيه خطيئة كبري ؟ هو مضطر لذلك فهو من دعاها وعليه إعادتها إلي حيث جاء بها، وبعدها هي وشأنها تخطيء أم تصيب، هو ليس وصيا عليها ولو نصحها بالا تفعل وسألته عن البديل فليس هناك من إجابة وافية لها.

ضغط علي أعصابه حتي يركز في طريقه، تفادي سيارة قائدها أرعن، هم أن يسبه ولكنه لم يشأ أن يظهر فظ اللسان أمامها فتطوعت هي بالأمر وألقت بعض السباب بالصينية نيابة عنه، لم تترجمه له بالطبع.

حينما أوصلها الي مكان عملها، رأها تحمل حقيبتها وتغادر وهي تشير بيدها الي أذنها بعلامة أن يبقيا علي اتصال، فهز رأسه موافقا وهو ينسحب بالسيارة في هدوء.

حينما عاد إلي منزله أخيرا ، القي بجسده المتهالك علي الأريكة، يشعر بالتعب الشديد من جراء اليوم، تسائل هل نجح في الأختبار الذي وضعه لنفسه ؟ هو لم يمس الفتاة ولم يقترب منها ولم يحدث نفسه بشيء عليها طوال الوقت إلا في تلك الثانية حينما مر بهما المشهد الساخن

لا يعلم إن كانت تلك الثانية قد أضعفت عودة التوبة ام لا، تري ما الذي عليه فعله للتأكد ان الله قد قبل توبته ، لا توجد علامة واضحة حتي الأن، لقد فاتته صلاة أثناء وجوده معها وتكاسل عنها الأن، لو قبلت توبته لانضبط صلاته ، إذن التوبة لم تقبل.

همس محادثا ربه " حتي متي يا الله ؟ " شعر بصوت يجاوبه من الداخل لا يدري هل صوت نفسه أم صوت شيطانه يحادثه أو ربما يكون إلهام من ربه " حتي تصل الي سنام التقوي"

سمع من شيخه سابقا أن سنام التقوي معناه أن يخرج العبد كل ما في قلبه أمام الناس فلا يستحي منه، يا رباه كيف له هذا المستوي من التقوي ؟ لا يستطيع، لو أخرج كل ما في قلبه لنفر الناس منه ، من من البشر حاليا بلغ درجة أنه ليس في قلبه ذنوب أو نية خطايا أو نميمة أو غل أو بغض أو حسد أو غيرها من الأمور.

وحتي لو طلب ذلك المستوي من التقوي، لن يجده هنا ولن يجده في نمط حياته المادي المتسارع ذلك، هو يريد وظيفة أخف وطأة ومكان اكثر هدوءًا

شعر بالحنق أنه لا يستطيع تغيير تخصصه، هو نهم للنساء ويعمل بطب النساء، لا يستطيع العودة والبدء من جديد مع طب الأسنان مثلا أو العيون ، الأمر مثل طريق ليس به رجعه ولكنه يأمل بإصلاح حاله في الطريق

قام من رقدته قبل أن يتكاسل أكثر وتوضأ من أجل الصلاة، قام يصليها بكل ما أوتي من خشوع، حاول أن يبكي وهو يسأل الله الهداية والمغفرة ولكنه لم يستطع أن

يرغم عيناه علي قطرة واحدة من مطر الندم، تري هل تحجر قلبه أم أن المعصية قد ختمت علي روحه بسوادها.

أنهي الصلاة ومكث واجما لبرهة، انتبه إلي أن زوجته لم ترسل له أي رسائل حتي الأن علي خلاف عادتها، تري هل هي منشغلة أم منصرفة عنه ؟ وبمن تنشغل عنه ؟ هل هناك من رجل أخر ؟ حذار يا (شهيدة) هكذا همس لنفسه قبل ان يبكي

أرسل لها رسالة يخبرها أنه يود الحديث معها، لم يسمع منها ردا حتي مرت ساعة عليه واوشك موعد نومه علي الأقتراب ، قبل أن تطل عليه ، رغم فرحته بظهورها إلا انه صب غضبه عليها لتأخرها في الرد فكانت ان قالت بأنها كانت بالمستشفي لأن إبنته الصغيرة مريضة للغاية.

يا للهول، ما الذي أصابها هكذا سأل (شهيدة) فأجابته :

– الطبيب يقول أنها حساسية شديدة وستستمر معها لفترة طويلة

شعر في قرارة نفسه أنه ربما الله يعاقبه في أولاده علي خطيئته الأخيرة وناجي ربه في نفسه " لهل حقا تعاقبني يا رب بمرض اولادي، ما ذنب المسكينة الصغيرة ـ، عاقبني أنا، أمرضني انا ، أو اجعل العقاب في شيء أخر مثل المال أوالأمتعة، جسد الصغار لا يحتمل الألم "

شعر بالسخف وهو يناجي ربه بهذا الشكل فقال معتذرا:

" معذرة يا رب العالمين ، لله الأمر من قبل ومن بعد، اغفر لي يا الله ونجني وأهلي من عملي السيء ، بالتأكيد أنت ارحم الراحمين ولن تزر بوزري جسد اطفالي وأعدك ألا اعود لمثلها ما حييت "

رغما عنه تدفقت دموعه عند هذا الخاطر حتي أنه اكمل حديثه مع (شهيدة) ونهر عينيه يجري ما بين خديه حتي طلب منها ان يتوقف عن الحديث لأنه متعب ودموعه علي خده.

الفصل الخامس
(هجرة إلي اللّه)

كان شيخه واقفا أمامه وهو ينظر له في ضيق وصدره يعلو ويهبط كمرجل يغلي من الغضب قبل ان يقول له :

- اقترب يا (عدنان)

مثل الطفل الذي ضبطوه يسرق فاكهة أقترب من وجل من شيخه وجلس ما بين يديه، فاقترب منه الشيخ وهو يتشمم ثيابه قائلا:

- أشم منك رائحة الخطيئة، هل فعلت ؟

اطرق برأسه ودمعت عيناه وهو يقول :

- لا أستطيع أن أجاهر بالذنب يا شيخنا.

- إذن هذا إعتراف أنك فعلت، ليتك أنكرت وجعلت الخطيئة سرا بينك وبين ربك.

- ماذا أفعل الأن يا شيخنا، دلني ؟

- غادر نفسك

- وكيف اغادرها، هل أزهق روحي ؟

- لا بل ازهق الباطل بداخلك، غير مكان عملك وغير مستقر أقامتك، عامل ناس أخرين وأنتقي جيدا هذه المره، هاجر بدينك يا (عدنان) .. هاجر بدينك

- إلي أين يا شيخنا

شعر (عدنان) بشيخه يختفي من مكانه بينما ظل صوته يتردد مكررا ، هاجر بدينك يا (عدنان) هاجر بدينك يا (عدنان)

تخافت الصوت شيئا فشيئا قبل أن يستيقظ (عدنان) من نومه وهو يشعر بأن علي كتفيه حملا ينوء به، كانت رؤية شيخه في مثل ذلك التوقيت رسالة بأنه عليه ألا يدع أمر التوبة يقف عند اعترافه بالذنب وتخليه عنه، عليه ترك المكان الذي دفعه للذنب، ليس ترك عبادة الصنم بحل بل عليه تحطيم الصنم كذلك.

شغله يوم عمله الشاق بالمستشفي عن التفكير في الأمر ولكنه حينما خلي بنفسه في استراحة الغداء، أخذ يقلب في الطبق الذي أمامه علي غير هدي وهو يفكر في الأمر.

لتكن هجرة إلي الله ولكن إلي أين ؟ هل يعود إلي باكستان ويعيش مع زوجته وأطفاله ويحيا حياة ملتزمة، ولكن تذكر أنه حياته مع (شهيدة) لم تكن تسعده وربما تقوده الي العودة مرة اخري الي الخطيئة بل وأشد، هل يهاجر الي دولة جديدة ؟ ولكن أي البلاد التي إن ذهب اليها لن يفعل ذنوبا جديدة، كل البلاد مؤمنها وكافرها بها مذنبون بل أن أشد البلاد تمسكا بالمظاهر الدينية هي أكثرها فسادا في الظلام، حسنا ليستبعد البلاد التي بها انحلال خلقي واضح وليتمسك بالأماكن التي يحتاج إليها في الوقت الراهن، قام عقله علي الفور بإستبعاد عشرات البلاد قبل أن يستقر علي دول قليلة جدا أغلبها ليس به فرص عمل له كطبيب باكستاني قبل أن

يتوقف عند (سلطنة عمان) كانت السلطنة هادئة نسبيا وتبدو خارجة عن هذا العالم الصاخب، أهلها طيبون بلا شك وفرص العمل بها متوافرة له كما أن علاقاتها الدبلوماسية بجمهورية باكستان علي خير ما يرام ولذا قام يبحث علي الانترنت علي فرص عمل له هناك قبل أن يجد مستشفي صغير في مدينة (صحار) يبحث عن طبيب نساء وولادة متمرس فيتقدم للعمل هناك

مرت بضعة أيام وهو يتفقد بريده الالكتروني كل يوما بحثا عن جديد دون أن تسعد عيناه برؤية ما تنتظره، حتي كان ذلك اليوم حينما كان يباشر بعلاج فتاة صغيرة السن حينما جائه اتصال من رقم مجهول، كانت المكالمة أتية من (عمان) طلب من الممرضة ان تعتني بمريضته ثم أجاب عن الاتصال بسرعة ، وجائته البشري

- هل يمكننا التحدث مع الدكتور (عدنان) ؟

- نعم أنا.

- معك مستشفي السلام التخصصي ب (صحار) لقد تقدمت لدينا بوظيفة ونود ترتيب مقابلة شخصية معك.

- طبعا، أي وقت ؟

- غدا يمكنك الذهاب الي مستشفي الحياة في الشارقة حيث ستقابل الدكتور (منتصر) وهو سيقوم بإجراء المقابلة المهنية بالنيابة عنا لاننا لا نستطيع اجرائها بأي من الوسائل التقليدية

- حسنا هل يمكنني معرفة الوقت المحدد للمقابلة ووسيلة الاتصال بالدكتور (منتصر) ؟

أملته الفتاة علي الهاتف تفاصيل كل شيء فدونها بسرعة قبل أن يعود لعمله في نشاط وسعادة، مرت المقابلة في اليوم التالي علي خير ما يرام وطلبوا منه إرسال بعض الأوراق من أجل القيام باجراءات تأشيرة السفر له إلي (عمان) وما هي إلا بضعة أيام حتي كانت تأشيرة سفره جاهزة.

وبقي عليه أن يقدم استقالته رسميا من المستشفي التي يعمل بها وأن يصارح (شهيدة) بالتطورات الجديدة، تري بأيهما يبدأ، لم ياخذ وقتا طويلا للتفكير فقدم إستقالته رسميا للمستشفي ثم قام بالاتصال ب (شهيدة) وإبلاغها الأمر، كان الراتب تقريبا هو نفسه الذي يتقاضاه في البحرين ولكنه أقنعها ان المستشفي هناك أكبر وأفضل واسمها سيمنحه ما يريد كما ان قوانين العمل هناك تمنح يومي راحة بدلا من يوم واحد وهذا مفيد له لإستكمال تطوير ذاته في المجال الطبي ، تقبلت الأمر بتعجب ولكنها لم تعلق كثيرا وهذا أرقه في قرارة نفسه، تري هل بدأت تستشعر شيئا ما مريبا به ؟ هل تراودها ظنون بشخصه ؟ ماذا سيحدث لو اكتشفت هل ستصمت أم ستثيرها عواصف وزوابع عليه ؟ لا يدري ولا يريد أن يخمن

مر شهران عليه وهي الفترة التي عليه أن يقضيها في الإنتظار حتي يجدوا بديلا له ثم سافر مودعا (الشارقة) وأهلها نحو البلد الجديدة التي يظن انه سيكون بمنأي عن المعاصي فيها، كان في تلك الفترة علي تواصل دائم مع (ريناتا) وتحدثا لفترات

طويلة بمحادثات كتابية بحتة ولم يتح له أي فرصة أن يقابلها بعد ذلك حتي سافر ، سألته عن الوجهة التي سيسافر إليها فلم يرغب بأن يخبرها الحقيقة فكذب عليها وهو يقول سأذهب للعمل في الأردن ، سألته هل هي بلد جميل فبالغ في مدح جمال البلد الذي لم يراه من قبل.

كان وصوله إلي سلطنة (عمان) سلسلا ، وصل الي العاصمة العمانية (مسقط) ومكث هناك ليلة بأحد فنادقها الصغيرة ثم سافر في اليوم التالي إلي (صحار) حيث أستلم عمله هناك في المستشفي، حاول أن يودع الماضي كله وراء ظهره وبدأ في الالتزام الشديد في الصلاة وقراءة القرأن ، حاول الصوم تطوعا كذلك ولكنه بعد بضعة أيام من الصوم لم يستطع الأستمرار فقرر التوقف علي أن يعوضها في غيرها في العبادات.

من حين لأخر كانت نفسه تحن إلي القليل من الشهوات، كان يلعب مع الشيطان ألعاب مرهقة ، يغلبه الشيطان مرة ويغلب الشيطان أخري، ولكن معظم نزواته لم يدخل فيها عنصر بشري، كانت نزوات الكترونية بحتة

فكر أن يطلب من (شهيدة) القدوم والأستقرار معه ولكن أنتظر أن يستقر به الحال في (عمان) أولا قبل أن يقدم علي هذه الخطوة.

مرت به الأيام علي وتيرة واحدة وأنغمس بالعمل والعبادة حتي أستولي الأمر علي كيانه، حاول توطيد علاقته ب (شهيدة) ولكنها لسبب ما كانت تنفر منه، تري هل تكون خطيئته قد ألقت بظلالها علي علاقته بزوجته فأفسدتها كم افسدت علاقته

بربه ؟ لا يدري أين قرأ أو سمع أن تحول الدنيا وإعراضها أول ما يبدا علي العبد يكون بتحول زوجته ثم دابته وهو يجد مشاكل كثيرة مع سيارته ومع (شهيدة) هذه الأيام.

كانت علاقته ب (ريناتا) لم تنقطع وكان يستشعر الراحة النفسية معها حينما يتحدثا، كانت مثقفة ولبقة ولولا جهلها المطبق باللغة الانجليزية لصارت من المفكرات المعروفات بالعالم، كان يجد لديها الكثير من الإجابات عن أسئلة وجودية تشغل باله حتي أنه في لحظة طيش فكر أن يسألها عن الدين والخطيئة ولكنه تراجع صافعا نفسه كيف يجرؤ وهو المسلم ذو الدين الذي لديه كل الإجابات في سؤال فتاة صينية كنفوشية أو بوذية أو لا دينية مثلها مثل ملايين الصينين علي الأرض، نعم هي لديها حكمة أستخلصتها من تجارب الحياة وصفحات الكتب ولكن الينبوع البشري للإجابات لن يكون أبدا مثل الينبوع الأهي.

فوجيء بها ترسل له رسالة ذات يوم أنها أتية إلي الأردن في اليوم التالي وتسأله إن كان يمكنها المكوث في بيته بضعة أيام، وجم للحظة ولم يدري كيف يجيبها، أيعقل ان يصارحها أنه ليس في الأردن من الأساس وأنه لا يقدر علي اصطحابها في منزله، لقد كذب عليها منذ البداية وعليه الإستمرار في كذبه بكذيبات أخري

أجابها عبر التطبيق :

- هذا خبر رائع ولكن للأسف أنا مسافر اليوم إلي سلطنة (عمان) في مهمة عمل ستستغرق بضعة أسابيع ولن أستطيع استقبالك

- هذا خبر سيء ، كنت أود لقائك.

- لا عليك لنكررها في وقت أخر ولكن لماذا تأتين إلي الأردن ؟

- لا أربح الكثير من المال في الامارات ونصحني عميل أردني بأن اذهب للأردن فبها الكثير من المال، قلت لأتي واجرب حظي.

- حسنا بالتوفيق ، ماذا ستفعلين الأن ؟ هل ستلغين سفرك ؟

- لا طبعا، لقد حجزت كل شيء بإستثناء الفندق، سأقوم بحجزه الأن والتأشيرة سأخذها لحظة وصولي إلي المطار

- هذا جيد، أسف أننا لن نتقابل.

- لا عليك ، ربما في بلد أخر وفي مكان أخر.

- حسنا ، أتمني لك حظا طيبا في سفرك كذلك

شعر بأنه قد أزاح حملا من علي كاهله، وشعر كذلك بأنه صغير جدا أمام الفتاة وهو يكذب عليها مرارا وتكرارا، هي صادقة في كلامها وفي مشاعرها معه أكثر منهن وتسائل في قرارة نفسه من الأقرب إلي الله في تلك النقطة هو أم هي ولكنه لم يشأ المقارنة.

حاول أن يقلل من علاقته العجيبة مع (ريناتا) ولا يسرف في الحديث معها ولكن بين حين وأخر كانت تأخذه إلي عوالمها المختلفة، أرسلت له عدة صور لها بالأردن وسألته هل زار هذه الأماكن، وكذب عليها بأن اخبرها بأنه قد زارها جميعا.

بعد نحو أسبوع فقط من وجودها هناك ، إستيقظ ذات ليلة علي رسالة منها بها صورة وقد كتبت تحتها:

– هل تعرف ما المكتوب هنا؟

كانت صورة لورقة بها بضعة سطور باللغة العربية مكتوبة بخط يد رديء، لم يفهم منها كلمة، لغته الأصلية وهي الأرودو تشبه العربية في كتابتها وهناك مئات الكلمات المشتركة ولكنه يعجز عن قراءة اللغة العربية الأصيلة، فأعتذر لها قائلا :

– لا أجيد العربية للأسف

– ألست أفغاني؟

– الأفغان ليسوا عربا

– حسنا، سأحاول ان أجد شخصا أخر ليقراها لي

– من أعطاك إياها ؟

– موظف الإستقبال بالفندق قال أن الأمن العام قد أتي هذا الصباح وسأل عني ثم تحفظ علي جواز سفري وترك لي هذه الورقة ولكن لم أفهم منها

– ولماذا لم تسألي موظف الأستقبال نفسه ؟

– لا أدري كنت مشوشة وأحتاج إلي شخص أثق به

شعر بالسعادة لعبارتها كونه شخص موثوق به ولكن سعادته تبددت حينما تسائل هل أهل الثقة عند الخطاة شيء مستحب له أم لا .

نفض الخاطر بسرعة وهو يقول لها:

– حسنا انتظري قليلا وسأتي لك بالترجمة

أرسل الصورة لطبيب تونسي يعمل معه بالمستشفي مستفسرا عن ترجمتها فجاوبه الرجل بالترجمة فورا قائلا

– هذه من المخابرات الأردنية تطلب من المذكور اسمها مراجعة دائرة المخابرات العامة في عمان الساعة التاسعة صباحا من يوم الغد.

سأله صديقه التونسي عن قصة هذه الورقة فقال له أنها سقطت من إحدي مريضاته وأراد معرفة فحواها ثم شغله بالحديث في موضوع أخر قبل أن يعود الي (ريناتا) مندهشا وهو يقول :

– ما الذي فعلتيه ؟

– لا شيء، كنت أقضي أيامي بهدوء في الأردن

– هذا استدعاء من أعلي جهة أمنية بالأردن ، من المخابرات العامة نفسها، هل متأكدة بأنك لم تفعلي شيئا ؟

– لم أفعل شيئا.

– هل تعملين في المخابرات الصينية يا (ريناتا) ؟

– لا طبعا.

– إذن هل عملتي في أعمال منافية للأداب ، أقصد هل عملت بالبغاء اثناء وجودك بالأردن ؟

- لا لم يحدث حتي الأن.

- أواثقة من ذلك ؟

- ولماذا اكذب عليك ؟

- حسنا ربما لاحظوا أن سفراتك متعددة في فترات قصيرة وبالنسبة لهم الصنيين فقراء وهذا ألقي علامة إستفهام عليك

- ماذا علي أن أفعل ؟

- لا شيء، اذهبي غدا في الموعد، خذي أي سيارة أجرة وأريه هذه الورقة وهو سيوصلك الي هناك، كوني طبيعية ، وأنت لا تتحدثين الانجليزية علي أي حال، أظن أنهم سياتون بمترجم لك ، وسييأسون منك في النهاية ، ربما يحاول أحدهم الحصول علي خدمات جنسية مجانية منك.

- وماذا أفعل حينها ؟

حار في الإجابة ، يعلم أنه من الأسلم لها أن تمنح تلك الخدمات الجنسية المجانية ولكن لسانه لا يطاوعه علي نصحه بها ولكنه ما لبث أن قال :

- امنحي ما تقدري علي منحه

- حسنا، ولكني سأفعل أمرا مختلفا سوف أذهب الي سفارتي هذا الصباح واطلعهم علي الأمر وأطلب منهم إرسال مترجم او مندوب معي لهذا الشأن لن أستطيع الذهاب لوحدي

- ربما كان هذا من الأسلم لك كذلك، علي اي حال خذي حذرك

- سأطلعك علي التفاصيل كلها غدا

- (ريناتا)

- نعم يا (عدنان)

- هل أنت واثقة أنك لا تعملين مع المخابرات الصينية أو غيرها؟

جاوبه وجه مبتسم وصورة لها وهي تخرج لسانها له كالمعتاد ، فأكتفي عند ذلك القدر، ولكن صمته لم يمنعه من القلق علي (ريناتا) ومنها في ذلك الوقت، تلك الفتاة تخفي أكثر مما تظهر ، ربما كانت فعلا تعمل لحساب المخابرات وربما كانت مهنتها كبائعة هوي غطاء لتلك المهنة ، وهو غطاء مناسب جدا فكم من الرجال مستعد للادلاء بإعترافات واسرار وهو بين أحضان إمراة جميلة محترفة في الحب.

غير أنه تبين سخافة ذلك التفكير فلو كانت تعمل بالمخابرات فلن يرسلوا لها استدعاء بل سيقدمون لاحتجازها وسجنها بأنفسهم كما أنها لا تبدو من هذا النوع ، هي ذكية ولكن ليست من فتيات المخابرات اللايئ يتخيلهن، بعد فترة من التفكير بشأنها أنصرف الي التفكير في أمر أخر.

كان يشعر بالوحدة الشديدة وكذلك يسيطر الملل علي كل يومه وخصوصا بعد إنصرافه عن كل المعاصي والذنوب التي كانت تشغل حياته، يشعر بفراغ في الروح شديد، كان يعلم أن من وجوب سد هذا الفراغ ان يستبدل المعاصي والذنوب بالطاعات والعبادات ولكنه لم يصبر عليها فترك الفراغ لوحده ينهشه

من مباديء المتصوفين كان هناك مبدأ أعجبه يسمي التخلية ثم التحلية ثم التثبيت حيث كانوا يأتون بالشاب التائه العاصي ويجعلونه يتوقف عن عادة سيئة ثم يبدلونها بعادة حسنة ثم يثبتونها بالتكرار حتي يتعود عليها وهكذا حتي تصح أخلاقه ويقوي إيمانه

مر اليوم بكامله بدون أن يسمع منها قبل أن يشعر بالفضول لمعرفة ما الذي جري فأرسل لها صورة تعبيرة لعلامة إستفهام ، مرت دقائق قبل ان تجيب :

– لقد عدت لتوي من المخابرات ، مكثت هناك أكثر من خمس ساعات

– لهذه الدرجة، ماذا كان الأمر كله بشأن؟

– لا شيء ، أسئلة كثيرة عن كل شيء

– وكيف فهموا عليك، هل حضر معك مندوب من السفارة الصينية ؟

– لا ، لم يدعموني في السفارة الصينية ولم يرسلوا معي أحدهم ،كما اني قد سألت صديقا لي بالسفارة فقال بأن ارسال مندوب معي سيثير الكثير من المشاكل

– لماذا ؟

– مبدئيا سيجعل المخابرات يشكون بي ، ثانيا المخابرات الصينية نفسها ستفتح تحقيقا بالأمر وهذا مكمن الخطر ولذا قررت الذهاب لوحدي

– وماذا حدث هناك؟

– احضروا لي أردني يدعي انه يجيد الصينية ولكن لغته الصينية سيئة للغاية ولا اظن أنه كان أمينا في الترجمة

- ولماذا لم تستخدمي التطبيق الذي نستخدمه الأن ؟

- لم أرد إستعماله حتي لا نستغرق وقتا أكثر

- حسنا ما الذي سألوك عنه ؟

- أروني صورة رجل أمريكي وسألوني عن علاقتي به

- وهل تعرفيه ؟

- نعم كان يذهب الي نفس النادي الرياضي بالفندق الذي أقيم فيه، وتعارفنا عبر الحديث من خلال التطبيق ثم دعاني الي غرفته بالفندق

- وهل ذهبت معه ؟

- نعم لمدة نصف ساعة وحاول أن يمارس الحب معي ولكني رفضت ثم طلبت ان أغادر وغادرت

- ولماذا رفضت ، هل لم يرضي أن يدفع ؟

- لا بالعكس ، عرض علي مالا كثيرا ولكني فقط لم احب أن افعلها معه ، لا يبدو صحي أبدا

- حسنا، ربما هو من وشي بك

- لا أظن ، أغلب الظن أنهم يراقبونه هو ، ربما هو ضابط مخابرات امريكي

- الأمر بدأ يصبح مثيرا، حسنا ماذا بعد؟ هل شرحتي لهم الأمر وماذا حدث بينكم؟

– طبعا شرحت لهم وقالوا أنهم يعرفون اني بقيت بغرفته نصف ساعة فقط وهذا ما أثار ريبتهم

– حسنا، هل انتهي الموضوع عند هذا الحد؟

– لا سألوني لماذا ذهبت الي روسيا ؟

– قلت لهم لأني اردت التجارة بالملابس هناك وتركتها لاني لم استطع تجديد الأقامة

– ثم ماذا بعد ؟

– سألوني عن كل مكان سافرت إليه، لماذا سافرت الي فيتنام؟ لماذا سافرت الي تايوان؟ لماذا لم امكث كثيرا في الإمارات؟ لماذا تركت سنغافورة؟

– انت متعددة الأسفار وهذا يثير الشك بالتأكيد

– علي أي حال لم يحصلوا مني علي معلومة مفيدة كما اني شعرت بالجوع وصحت في ضابط المخابرات اني جائعة

– وماذا فعل ؟

– اندهش ثم ضحك ثم أمر باخلاء سبيلي من التحقيق

– إذن الأمر انتهي عند ذلك ؟

– لا اخلي سبيلي بشرط، أن اغادر في غضون يومان علي الأكثر إما إلي الصين وإما إلي أي بلد عربي أخر

– اذن عودي الي الصين

- لا أستطيع، لازلت أريد جمع المال، كما اني لو ذهبت وكان الخبر قد تسرب للمخابرات الصينية فلن استطيع السفر مجددا بسهولة

- ماذا ستفعلين الأن، هل ستذهبين إلي بلد عربي أخر ؟

- نعم ربما (البحرين) أو(قطر)

- تعالي إلي سلطنة (عمان)

لم يدري بنفسه لما تفوه بهذا العبارة، ربما شعر بالتعاطف معها، ربما يشعر أنه يود رؤيتها ، وعلي الأرجح هو ظن أنها لن تقبل دعوته ولكنه فوجيء بها تقول

- حقا ، هل يمكنني المجيء ؟

- نعم طبعا، أنت مرحب بك لو يمكنك الحصول علي فيزا للدخول

- نعم يمكنني ، الصين دولة عظمي ومواطنيها يستطيعون التحرك في معظم دول العالم

- جيد

- هل سأقيم لديك ؟

- .....

- هل لازلت هنا

- نعم يمكنك، يمكنك المكوث في بيتي حتي تدبرين أمورك

- هذا رائع، أنا سعيدة بذلك

أرسل لها عنوان بيته ومعه صورة للبيت من الخارج ثم عاد إلي يومه التقليدي، كان بشكل ما يشتاق الي رؤيتها ولكنه متخوف من تلك الرؤية، هل سيتعامل معها كصديق عادي أم أن شيطانه سيقنعه بإتخاذها عشيقة له وخصوصا لرغبته في الحصول علي قيمة لما دفعه من قبل.

علي أنه لم يعد لديه مجال للتراجع عن الأمر وخصوصا حينما تملص منها في مجيئها للأردن فلا يريد أن يبدو متهربا منها كذلك في سلطنة (عمان).

سأل نفسه هل يذهب لإحضارها من المطار ولكنه قدر أنها ستصل في موعد متأخر من الليل وعليه ألا يزعج نفسه بها، أرسلت له صورة من تذكرة سفرها لتخبره بمجيئها وتأكدت من عنوانه مرة اخري ، بعد وصول طائرتها بساعة فوجيء بها تتصل علي هاتفه تخبرها أنها أنهت اجراءتها بالمطار وهي في الطريق اليه وطلبت منه أن يصف لسائق سيارة الأجرة العنوان ، فعل ذلك ووقف حوله يتطلع إلي شقته في حيرة.

كانت شقته فوضوية كما عهدها، هي أقل فوضوية من شقة الشارقة ولكن بالنسبة لمعايير (ريناتا) الصحية فهي غير لائقة ولذا استغل الوقت المتبقي قبل وصولها وأسرع ينظف الشقة قدر الامكان ويتخلص من أي شيء قد يثير اشمئزازها.

سأله نفسه بفضول وهو يفعل ذلك، هل يفعله لأنه يحبها أم لأنها صديقته، ولكنه قدر أنه لا هذا ولا ذاك، لقد فعل ذلك لأنه الصواب وهو يحب أن يراه الناس دائما علي صواب.

في غضون ساعتين كانت الفتاة قد حضرت إلي المكان، كانت تسافر بحقيبة سفر صغيرة ونفس حقيبتها علي الظهر التقليدية، يود لو يعرف سر تلك الحقيبة، ربما يفتشها أثناء نومها

كانت شقته عبارة عن غرفة نوم واحدة ومطبخ صغير ثم هناك غرفة معيشة بها مائدة لتناول الطعام وأريكة واسعة ، تسائل في نفسه وقد أدرك أنه تسرع بدعوتها أين يمكنها ان تنام ؟ ليس هناك سوي سرير واحد، هل يتشاركا السرير ويحاول كل منهم الحفاظ علي حدوده ام ينام هو علي الأريكة كل يوم حتي تغادره.

كان الأحتمال الأول هو ما يميل له بالتأكيد ولكنه أدرك ان هذا مدخل الشيطان إليه، وبين لحظة وثانية يجد نفسه بين أرابعها ، ولذا قرر أنه عليه النوم علي الأريكة مع احتمال سوء نومته لعدة أيام.

دعاها للدخول لشقته ووضع حقيبته داخل غرفة النوم، قامت بأخذ حمام سريع ثم جائته وهي ترتدي منامة قصيرة وقد فكت شعرها الأسود الفاحم فأنسدل علي كتفيها، لا يشعر تجاهها بمشاعر متوقدة، هي الأن أقل من العشيقة وأعلي من الصديقة بالنسبة له.

كانت تشعر بالنعاس ، وقدر أن رحلتها ولا شك متعبة ، سألها إن كانت جائعة فهزت رأسها إيجابا، لم يكن يريد أن يستغرق وقتا طويلا بالطهي ولذا قدر انه سيعد لها وجبة من الخضروات الطازجة المقطعة ومن الدجاج المقلي سريع التحضير.

لازلت شهيتها واسعة كما عهدها، هذه الفتاة تأكل مثل أنثي فيل عقب الولادة، ومع ذلك لا تزيد جراما واحدا، هذا حلم كل إمراة سمينة لو استطاعت لذلك سبيلا ، أخذ يسامرها في الحديث وهي تتوقف بين الحين والأخر لتشغيل تطبيق الترجمة، لاحظ أنها بدأت تلتقط بعض الكلمات باللغة الانجليزية ولكنها ليست أكثر من بضع كلمات مألوفة لا تسمن من جوع ولا تسعف في موقف

سألها في ود :

- كيف كانت رحلتك؟

- كانت جيدة ولكني لم أنم جيدا، وفي مطار سلطنة عمان استوقفوني كثيرا وسألوني الكثير من الأسئلة

- حقا ، لماذا ؟

- لا أعلم، سألوني لماذا تركت الأردن ولماذا قدمت الي (عمان) وهل أعرف أحدا هنا .

- هذا غريب ، العمانيين ودودين للغاية وليسوا من هواة التدقيق مع الأجانب

- أظن أن المخابرات الأردنية أبلغتهم بشكل ما ، لقد تفحصوا هاتفي كذلك في المطار في قسم الأمن

نظر لها في تعجب قبل ان يقو ل :

- (ريناتا) أصدقيني القول ، هل تعملين كجاسوسة؟

استمعت للترجمة قبل أن تضحك بشكل قوي حتي أن فتات الطعام تساقط من بين أسنانها فمنعته بكفها وهي تعيده إلي سجنه المؤقت قائلة :

- لا طبعا، أنا ليس لي أي صفة أمنية أو سياسية من أي نوع في بلادي ولكن العجيب أنهم أهتدوا إلي محادثات قديمة كنت قد مسحتها من هاتفي والكثير من الصور التي كنت قد حذفتها، بعض منها غير لائق لو تفهمني ، نفس الشيء فعلوه في المخابرات الأردنية ، لا أعلم ما البرنامج او الشفرة التي يستعملونها ولكن الأمر مقلق.

- لماذا، لو كانت المحادثات والصور ذات طبيعة جنسية لن يكون هناك أي خطر عليك ، علي الأقل لن يؤدي بك الي السجن.

- لا ليست أجهزة الأمن العمانية والاردنية ، مشكلتي أنه بالصين بالتأكيد أجهزة الأمن تعرف هذا البرنامج أو الشفرة وربما يستعملونها لقراءة محادثاتي القديمة والإطلاع علي صوري المحذوفة ، وهم من أخشاهم.

تطلع لها للحظات ولم يدري ما يقول ، كانت قد أنهت طعامها ، فحمل الأطباق منها ولكنها أصرت أن تصحبه وهي تعاونه في غسلها بالمطبخ وتتطلع حولها إلي المكان المنظم والمرتب علي نحو جيد قبل ان يسألها بغتة :

- لدي سؤال يحيرني ، أنت تدخلين الكثير من الدول بسهولة وتحصلين علي التأشيرة في المطار ، كما أنك تتأقلمين مع البلدان بشكل غريب، هل هناك سر وراء ذلك ؟

أجابته قائلة :

- يا عزيزي، (الصين) دولة عظمي ولدينا علاقات سياسية واقتصادية قوية مع كل دول العالم بلا استثناء ولذا نحن نستطيع الحركة بسهولة، هناك عشرات الدول التي أستطيع ولوجها أما بدون تأشيرة أو بالحصول علي التأشيرة في المطار ذاته وبقية الدول يمكنني التقدم لفيزا سياحية عليها من أي سفارة بدون تعقيدات، هذه إحدي مزايا الانتماء لدولة قوية

- وماذا عن تأقلمك السريع ؟ ألا تخافين من الدول الغريبة عليك وخصوصا أنك لا تتحدثين أي لغة أخري غير الصينية ، كيف تستطيعين التحرك والتصرف ؟

- بسيطة ، كل الصينين لديهم إشتراك علي إحدي وسائل التواصل الإجتماعي وفور أن أصل إلي أي دولة أبدأ في التواصل مع الصينين هناك، كلنا نساعد بعضنا ونادرا أن تجد صينيا يرفض مساعدة احد ابناء وطنه ، نؤمن لبعضنا البعض المأوي والغذاء وفرص العمل كذلك ، هذا هو سر قوة الأمة الصينية، ربما أنتم الافغان لا تفعلون ذلك

- صدقت ، كل مواطني الدول يساعدون بعضهم إلا نحن ، الكثير يرفض المساعدة أو يتنصل منها

- شعر بها تقترب منه وتحتضنه من الخلف وهي تضع رأسها الصغير علي رأسه قبل ، لم يشأ التحرك ولم يحاول تفسير تصرفها الغريب هذا ، هل هي حركة بريئة أم تقصد من ورائها شيئا ما حميميا، لم يتحرك ولم يهتز تاركا لها الفرصة لأن تحيا

اللحظة حتي أخرها، بعد برهة شعر أنها قد اطالت الأمر فألتفت وهو يفك ذراعيها من حول وسطه وينظر لها، كانت شبه نائمة وعيناها متثاقلتان، لابد أنها تشعر بالنعاس من تعب الرحلة، أشار لها بيديه هل ترغب بالنوم فهزت رأسها موافقة ، حملها بين ذراعيه مثل فتاة صغيرة ، لم يكن قوي البنيان ولكن جسد الفتاة قابل للحمل بدون جهد، استسلمت له ومنحته ابتسامة مجهدة ، وضعها بالفراش وهو يضع عليها الغطاء ثم يتوقف في إنتظار الخطوة التالية، هل تدعوه الي الفراش، وهل يقبل؟ هل يلج هو الي الفراش وهل تقبل هي؟ كان بين شيطانه وضميره فكرتان متصارعتان، أشارت له الي الفراش أن يأخذ مكانه الي جانبها ولكنه أشار إلي الخارج بأنه سينام علي الأريكة . صمتت وأغلقت عيناها وبدا أنها سقطت في بئر السبات العميق.

أطفا الأنوار حتي يمنحها إضاءة خافتة قبل أن يغادر وهو يطفأ أنوار الشقة كلها واحدة تلو الأخري، جلس مع شاشة هاتفه الحديث وهو يمر عبر صفحات التواصل الإجتماعي وما أكثرها، لديه أكثر من عشرة وسائل يستعملها للتواصل من الواتس اب إلي الفايبر والايمو واللاين والفيس بوك والتانجو والتندر والوي تشات وغيرها ولكنه رغم ذلك يشعر بالوحدة الشديدة ، ربما لأن الله ليس مضافا إلي أيا منها، منذ متي لم يشعر بطعم الايمان الحقيقي، لا يدري ولكنه يعلم أنه انسلخ من ذاته القديمة بالتأكيد.

شعر بالنوم يداعب جفنيه فنام في مكانه، لم يكن هناك من غطاء أو وسادة فقد تركها كلها ل (ريناتا) كان الجو باردا ، شعر بنفسه يعاني مشكلة في النوم فأستيقظ بعد ساعة وهو يدخل الي غرفة نومه في هدوء حتي لا يوقظها ، ارتدي ملابس نوم ثقيلة مع جوارب حتي يشعر بالدفء قبل ان يغادر، مر علي الثلاجة شرب كوبا من اللبن وأعقبه بقطعة من الفاكهة لعلها تساعده علي النوم، وعاد مره أخري إلي أريكته، لثلاث ساعات كاملة فاوض النوم حتي يأتيه ونجح أخيرا في مفاوضاته مع مطلع الفجر، نام بعمق شديد قبل أن يشعر بلمسات حانية علي صدره، فتح عينيه ببطء كانت (ريناتا) قد استيقظت ووقفت بمنامتها المثيرة فوق رأسه، ثم بدأت تلامس صدره، هل ترغب به ؟ لا يظن، لو أردت لصرحت،هي فتاة تعرف ما تريد وتسعي له، ربما هي تشعر بعاطفة تجاهه أو شفقة لأنه نام علي الاريكة وترك لها فراشة، ابتسم للمساتها وتركها تعبث به قليلا، فوجيء بها تتخذ مكانها إلي جواره علي الأريكة الواسعة وتتوسد صدره وتنام مرة أخري، مثل قطة لاذت بصاحبتها الاثيرة، لم يمانع ، هذا أهون ما في العلاقة ، وحضن صغير لن يضير، بين نومته ويقظته أخذ يداعب شعرها الناعم بهدوء حتي نام مرة أخري

بعد بضعة ساعات أستيقظ علي صوت منبه هاتفه ، تطلع ل (ريناتا) الغارقة في نومها في صمت، قبل أن يستجمع جسده وينهض محاولا أن يعيد تمركز جسدها بهدوء من علي صدره إلي ظهر الأريكة دون ان يزعج نومها، فعل ذلك بإحترافية يحسد عليها.

قام الي حمامه الصباحي المعتاد ثم تناول افطار صحيا بسيطا قبل أن يغادر علي عجلة الي عمله، طوال اليوم كان يفكر ب (ريناتا) وخطوته معها، كم ستمكث لديه ؟ هل لديها مكان تذهب إليه ؟ كان من السهل عليه لفظها من حياته ولكنه يريدها قربه ، أولا هي تمنحه الراحة وثانيا يشعر بأن عدم اقترابه منها مع إستطاعته ذلك تكفيرا عن ذنبه السابق ولكنه يخشي أن ينقلب السحر علي الساحر ويخطأ معها مجددا.

شعر بها ترسل له رسالة بعد منتصف اليوم تسأله أين هو فأجابها قائلا :

– انا هنا بالعمل

– متي ستعود ؟

– بعد ثلاث ساعات من الأن

– حسنا

– هل تناولت طعام الافطار ؟

أرسلت له صورة لطعام كثير علي المائدة، الفتاة أعدت لنفسها وليمة وتأقلمت مع بيته مثل ضيف طفيلي ولكنه علي الأقل شعر بالراحة أنها تتصرف علي سجيتها ولا داعي للقلق بشأنها، عاد يقل لها :

– حسنا،كوني علي راحتك، سأعود ونتناول العشاء معا.

– حسنا ، وداعا.

حينما عاد ذلك المساء ، أدرك معني ان تكون حياة الرجل في وجود المرأة،كانت ريناتا قد رتبت مطبخه من جديد وغسلت كل ملابسه المتسخة وملابسها كذلك،

لاحظ أنها ارتدت بعض ثيابه الباكستانية فضحك لذلك ، سألها ماذا ترغب أن تأكل اليوم وهل تأكل بالمنزل ام بالخارج ، فقالت له :

- كما تحب

- حسنا ، سأطهو لك برياني جميل مع خضار.

- يبدو لذيذا.

أكثر ما يعجبه في الصينين أنهم لا يرفضون أي طعام يقدم لهم، لديهم مقولتهم الشهيرة والتي تقول نحن نأكل كل ما في البحر سوي السفن وكل ما في الأرض سوي السيارات وربما هذا ليس غريبا علي شعب يأكل بعض افراده الأجنة الميتة.

قام بإعداد الطعام وعاونته هي قليلا هنا وهناك قبل أن يسألها بغتة :

- بالأمس حينما طلبت مني الولوج للفراش هل كنت ترغبين بي ؟

- ماذا تعني؟

- اعني هل رغبتي فقط أن انام إلي جوارك أم امارس الحب معك ؟

- لا فقط تنام إلي جواري لانه ليس هناك من مكان أخر ملائم تنام به، لكني لا افكر في ممارسة الحب معك

شعر بالإهانة وهو يقل لها بضيق:

- لماذا ؟

- أولا نحن أصدقاء الأن وثانيا أنا اخبرتك أني اختار من أنام معهم وامارس معهم الحب ، يجب ان يكونوا أصحاء

- كيف هذا وقد حضرتي الي منزلي أول مرة ولم تكوني تعرفين كيف أبدو وما هي عاداتي ؟

- المرة الأولي لا تحتسب ، أستطيع التعامل مع جسد الرجل ورائحته وشكله وحتي سلوكياته وشكل منزله، ولكن لو لم يعجبني الرجل أطلب من مديرتي ألا ترسلني له مرة أخري، وأحيانا أطلب منها أن ترسل لي صورة الشخص قبل ان ترسلني له أو ترفض بعض الجنسيات بعينها، أنا لا احب العرب علي سبيل المثال، أفضل الاوربيين عن الامركيين وهكذا.

تعجب من وجهة نظرها الإنتقائية في مجال عمل يقوم مبدأه علي ممارسة الفجور مع الرجال بلا تمييز، فعاد يسألها في فضول حذر :

- وماذا عني أنا، هل ترغبين بممارسة الحب معي مرة أخري ؟

نظرت له للحظة فور معرفتها بترجمة عبارته قبل أن تهز رأسها نافية في شدة وكأنها ترفض الموت قبل ان تقول :

- أنت شخص غير صحي وعاداتك وحياتك غير صحية رغم عملك كطبيب، وأظن أن تفكيرك غير سليم كذلك معظم الوقت، وأنا قلت لك مسبقا ، أنا لا امارس الحب مع الأشخاص غير الطبعيين.

كانت كلامها قدحا في شخصه،حتي بائعة الهوي لا تراه جديرا بها ، أغضبه الأمر ولكنه كتمه داخله وقام بطهو الطعام دون أن يتبادل معها أي عبارات اضافية ، ثم

وضع الطعام علي المائدة هذه المرة عوضا عن الجلوس علي الأريكة، استشعرت انه قد تضايق من كلامها فقامت تمسح بيدها علي شعره وهي تقول له :

- أنت صديقي، معلوم

لانت ملامحه وهو يجلسها إلي جواره لتناول الطعام، هي لم تخطأ، هي لم تتهمه في رجولته ولم تقل شيئا ما عن شخصه، هي تكلمت عن عاداته وهذا حقها كصديقة، هي ليست حبيبة أو عشيقة كما أن كونها عاهرة لا يعني أنها تكتم أنفها وتصمل عيونها عن رؤية ما يسوءها في أشد اللحظات حميمية، هي تهب جسدها لمدة ساعات سليمًا معافي وتريد لنفسها أن تسترده كذلك فيما بعد سليمًا معافي، راوده شيطانه بفكرة أن يعرض عليها مالا لتمارس الحب معه مرة أخري ولكنه قدر أنها ستعتبر ذلك إهانة وربما خرجت من حياته للأبد وهو بشكل ما قد أدمن وجودها حتي بدون علاقة حسية فيما بينهما.

تناول طعامه في بطء حيوان الكسلان بينما هي قامت به كأرنب يهرب من خطي صياد، فأكلت ثلاث أضعاف ما أكله، تلك الأنثي المثالية حلم كل رجل ، التي تأكل ولا تسمن، كانت زوجته (شهيدة) نحيفة ولديها جسد رائع ولكنها في الفراش أجهل من دابة.

لاحظت هي صمته طوال الوقت ولا يدري هل تسرب إلي نفسها ضيقه وحزنه ، فقامت تضع رأسها علي صدره، لم تفعلها كأنثي بل فعلتها كطفلة أتخذت مجلسها علي صدر أبيها، لامس شعرها بحنان فنظرت له ثم أخرجت لسانها كالمعتاد.

اعتدلت بعد قليل وهي تقل له :

- أين ستنام الليلة؟

أشار إلي الأريكة التي يجلسان عليها وهو يقول :

- هنا.

مطت شفتيها إستياءا قبل أن تقول :

- لا أشعر بالراحة لذلك، لقد جئت لأقلب لك نظام حياتك ، يمكنك النوم إلي جواري فالفراش يتسع لنا.

- لا أفضل ذلك

- لماذا؟

- أحاول أن اكون انسانا صالحا ووجودي معك في نفس الفراش شيء سيء في عقيدتي حتي إن لم نفعل شيئا

- هل أنت متزوج؟

أحتار ماذا يقل لها، هي لا تعلم عن عقيدته شيئا ولن يحاول أن يهديها للإسلام الأن بعد كل ما حدث بينهما وإلا سيبدو مثل الذئب الذي يعظ في النعاج ، وكذلك لا يستطيع إخبارها أنه متزوج وإلا ستشعر بأنه خائن لزوجته مثل كل الرجال الذي قابلتهم، كان يحاول الحصول علي صورة متماسكة أمامها فكذب عليها مجددا.

وهو يقول :

- لا لست متزوجا الأن، كنت متزوجا فيما مضي من فتاة في بلادي ولدي طفلان ولكني تركتها منذ فترة بعيدة

- لماذا؟

- كنت علي سفر دائم وهي طلبت مني الإستقرار فلم أفعل وكان الطلاق.

- هل تحبها ؟

احتار ماذا يجيب ، وهل ستؤثر إجابته علي علاقته الملتبسة ب (ريناتا) قبل أن يقول :

- نعم لازلت احبها.

- إذن نصيحة مني لك ، عد إليها وإلي أطفالك

- سأحاول ، أشعر بالرغبة في حياة أسرية مستقرة عادية

- الزواج مهم جدا لكلا من الرجل والمرأة

نظر لها في دهشة من لا يصدق أن هذا الكلام يصدر منها فعادت تعقب:

- الزواج ووجود شريك أخر تمضي معه حياتك هو أهم شيء، ويحفظ للإنسان توازنه النفسي والاجتماعي، حتي لو كان هذا الزواج به مشاكل ، فهو يظل أفضل من حياة الوحدة، هل تعلم شيئا ؟ في اليوم التالي لوفاة والدي منذ بضعة سنوات ، أقتربت من والدتي، علاقتي لم تكن قوية بها ولا بأبي ، ربما لكونهما مختلفان عني،كانت تبكي بحرقة علي وفاة والدي، مسحت لها دمعها وأنا أقل لها دعيه يمر

إلي ما ذهب إليه وانتبهي لحياتك، لا تبقي هكذا، تزوجي أول رجل تعجبين به ، لا تستسلمي لشعور الارملة الوحيدة التي تمضي بقية حياتها حزنا علي شريك، الإخلاص يكون مادام الشريك علي قيد الحياة ، فإن مات تحررت من ذلك الألتزام ويكون عليك الذهاب الي شريك أخر ، تلك هي الحياة.

– أظن أن هذا كلام قاسي تقوليه لأمك الأرملة في ثان يوم وفاة لأبيك.

– أنا إنسانة أفكر بعقلي قبل قلبي، ربما عقولنا مختلفة ولكني لا أظن أني طلبت منها شيئا سيئا.

– وهل تزوجت من بعده ؟

– حتي الأن لا، هي لم تجبني ولكن أظن أنها اقتنعت بما أقول وستعمل به فور أن تجد الرجل المناسب

– وماذا عنك أنت ؟ هل ستتزوجين؟

صمتت (ريناتا) وكأنها لم تتوقع سؤاله وبدت مثل الفيلسوف الذي ينصح الناس بشيء هو أبعد الناس عنه قبل أن تقطع حبل صمتها قائلة :

– أنا كنت علي وشك الزواج منذ نحو عشر سنوات ولكن لم يحدث الأمر.

– لماذا؟

– كان صديقي منذ أيام الدراسة وقد ساعدني كثيرا في حياتي، كان لي أكثر من مجرد حبيب، كان صديق، نتناقش سويا ونتحدث في كل شيء ونتجادل ولكن لا نختلف، ولكنه لم يبدو ميالا إلي ممارسة الحب معي، فعلناها مرة أو مرتان علي

الأكثر في خمس سنوات لدرجة أني شكتت في أنوثتي في البداية ثم شكتت في رجولته في النهاية ولكن رغم ذلك لم أمانع وجودنا سويا، طالما أحبه ويحبني.

- ولما لم تتزوجان؟

- كان غير صحي بالمرة مثلك

- مثلي أنا ؟

- ليس تماما، هو كان غير صحي بالمرة، يسهر كثيرا وينام كثيرا، يشرب الكحوليات، ولا يعمل في وظيفة ثابتة، يقامر بالمال علي رهانات فاشلة كثيرة وأخيرا وهذا أكتشفتها بنفسي كان مدمنا للمخدرات.

- هذا كثير جدا.

- نعم ، تشاجرت معه كثيرا من اجل الموضوع الأخير وخصوصا أنني كنت من ينفق في هذه العلاقة ولم يكترث هو بالإنفاق علي وعلي إحتياجاتي، العجيب أنه كان يجيد اخفاء الأمر حتي عن والديه، كان بيته فوضويا كثيرا ولكن حين حضور والديه ينشط قبلها في ترتيب البيت من الداخل والخارج ويغتسل ويرتدي أفضل ثيابه ثم يقابلهم وكأن شيئا لم يكن

- ثم ؟

- ثم تحت ضغط العلاقة المتردية فيما بيني وبينه تشاجرت معه ذات مرة ثم ذهبت الي البار لاحتساء الخمر، لم أدري بنفسي سوي في اليوم التالي في فراش شاب صيني بدين تقيأت بمجرد رؤيته واعية

– هذا سيء.

– نعم كرهته لأنه أخرج أسوا ما بداخلي وخصوصا أنه قد ورطني في أشياء كثيرة لازلت أدفع ثمنها الي الأن، لا أحب صحبة الرجال غير الصحيين لهذا السبب، الرجال الأصحاء نفسيا وجسديا يعنون علاقات صحية ، غير ذلك كل العلاقات تؤثر سلبا علي.

– هل لي أن أسالك سؤال؟

– بالطبع

– كم من المال تحتاجين حتي تتوقفي عن هذا الأمر ؟ أي بيع الجنس للغرباء مقابل المال

اخرجت لسانها له وهي تقول

- الكثير
- ماذا تعني بالكثير، الف دولار مثلا ؟
- أنت تمزح، حينما أقول الكثير فأنا أعني الكثير والكثير من المال أكثر مما تستطيع تخيله
- هل تجمعين المال لأنك تريدين ان تكوني ثرية، هذه ليست حياة
- هل تصدق أني لا اطمع في الثراء من جراء ذلك، أنا أريد فقط أن أسدد ديوني التي تورطت بها وأبدا بداية نظيفة في أي اعمال.
- ما مقدار ديونك ومتي تورطت بها ؟

- الكثير من المال أكثر مما استطيع توفيره في سنوات، وتورطت بها أثناء عملي في روسيا ، كنت مع صديقي هناك نعمل سويا في تجارة الملابس.
- وكيف تورطت في كل هذا القدر ؟
- كنا هناك نأخذ كميات كبيرة من الملابس لبيعها لصالح تجار روس ، مكثنا سنتان ، جنينا الكثير من المال قبل أن يقامر به في ليلة واحدة لنعود مفلسين ومديونين بأكثر من الوف الدولارات لصالح تجار لا يعرفون التفاهم، هرب هو إلي الصين واصطحبني معه ولكن في طريقي استطاعوا اختطاف كلبي المدلل مني وساوموني عليه للعودة وتوقيع صكوك بأموال علي نفسي.
- وعدت من أجل الكلب فقط ؟!
- نعم
- حمقاء
- لا ، كنت أحب هذا الكلب كثيرا ، كما أنه روح ،حياة لا أقبل ان تفني بسبب خطأ ما قمت به، ولذا عدت ووقعت علي تلك الصكوك المالية وأنا ملزمة بأن أرسل لهم المبلغ كله في غضون فترة زمنية محددة وملزمة كذلك بدفع مبلغ شهري نظير إنتظارهم.
- وهل أعطوك الكلب مرة أخري ؟
- نعم.
- أرني صورة ذلك المحظوظ.

قامت بالتفتيش في جوالها المحمول قبل أن تريه صورة كلب من فصيلة الراعي الألماني الشهيرة، كان كلبا رائعا وتعجب في قرارة نفسه كيف أهدرت كل هذه السنين لتسديد كل هذه الديون من أجل كلب، هل هي إنسانية مفرطة أم غباء بلا حدود، الكلب محظوظ بالتأكيد وتلك هي الحقيقة الوحيدة التي يوقن بها.

عاد يسألها مجددا:

- إذن لنفترض أنك قومتي بتسديد تلك الديون الهائلة التي تثقل كاهلك وتحررت، ماذا ستفعلين بعدها ؟
- سأعود إلي بلادي وادرس القانون ثم أعمل بالمحاماة

كانت نظريتها عجيبة عن التطور الوظيفي من عاهرة تبيع خدمات جنسية إلي محامية في أروقة المحاكم، هذا تصور مدهش لحياتها ولكنه قدر أن الأمر مستهجن في ثقافته هو وليس في ثقافتها هي علي الأرجح، فعقب علي عبارتها

- ألن تتزوجين وتنجبي أطفال ويكون لديك عائلة ؟
- لا.
- لماذا، ألست من أنصار الزواج والشراكة كما تقولين؟
- أظن أن الوقت تأخر علي، وحينما انتهي من ديوني سأكون في الأربعين تقريبا وليس هناك وقت للزواج
- ألم يعجبك أيا من عملائك الذين مارست الحب معهم ؟

- أحببت الرجال العرب فهم وسيمون ولكن ليسوا صحيين ولذا لا فرصة لأحد في الوقت الحالي
- ما مواصفات فارس أحلامك ؟
- لابد من أن يكون رياضي ، أنا لا أحب الأجساد الضخمة بالمناسبة ، يكفيني أن يكون رياضيا، وأن يكون ذكيا ومنظما في حياته ، يعرف ماذا يريد وكيف يحصل عليه، لابد من أن يكون اجتماعيا كذلك، الرجل الذي يشارك في كل المجالات والمناقشات بسهولة ويسر هو رجل صحي للغاية
- حسنا، طلباتك معقولة، الأرض بها ثلاثة بلايين رجل وبالتأكيد هناك أحدهم من ستطبق عليه شروطك
- لقد أخذتني في الحديث ، كنا نتكلم عن أين ستنام، ولا يعجبني أك تنام عن الأريكة، من الغد سأبحث عن مكان أستقر فيه.

في قرارة نفسه سعد لقرارها فوجودها معه يربكه ويربك يومه وكذلك يعرضه للمشاكل علي النحو البعيد، ولكنه لم يشأ أن يسألها عن الأمر حتي فاتحته، علي سبيل المجاملة المهذبة قال لها:

– لا عليك ، أنا متوائم مع الوضع

– لا يمكنني الإستمرار هكذا، أنت تريد إستعادة حياتك ، وأنا أيضا أريد البحث عن عمل، أريد أن أجني المال مجددا.

- وكيف ستحصلين علي عمل في (صحار) وأنت لا تجيدين الأنجليزية وعلي فيزا سياحية فقط؟

- لا تقلق بشأن ذلك، نحن الصينين نتصرف دائما ولقد تواصلت عن طريقة الشبكة مع سيدة صينية هنا تملك نادي صحي ورياضي وستساعدني في الحصول علي عمل كغطاء لوجودي كما ستسهل لي الحصول علي عملاء لعملي الأخر.

لوهلة توقف وهو يستمع لكلامها مندهشا من نفسه، لو أخبروه منذ سنة واحدة فقط أنه يوما ما سيكون جالسًا مع بائعة هوي تحكي عن عملها بهذه الاريحية ولن يبدي استياء من حديثها لما صدقهم ولاتهمهم بالخيال المفرط وها هو الأن يستمع إلي حديثها وكأنها تحكي عن عملها في مستحضرات التجميل، لأشد ما تغير ولا يعجبه هذا التغيير فيه، لقد بدأت نخوته وشهامته تروح منه رويدا رويدا.

لم يعلق علي عبارتها بل فقط قال :

- سأنام هنا ولو شعرت بالتعب سأذهب لكي أنام إلي جوارك ، هل هذا جيد ؟

- حسنا؟

جال في خاطره أن يسألها عن الحقيبة التي تحملها دوما علي ظهرها وما تخفيه بها، لم يستطع إبتلاع فضوله فسألها :

- (ريناتا) هل لي أن أسالك عن حقيبتك؟

سألته في دهشة :

- أية واحدة؟

- تلك التي تحملينها علي ظهرك باستمرار حتي وانت ذاهبة لمقابلة زبائنك، ما سرها ؟ ما الذي تخفينه بها؟

ابتسمت وهي تقل له :

- هذا سري الصغير العظيم ولن تعرفه سوي حينما تصير ثقتي بك مثل ثقتي بنفسي لم يحاول ارغامها علي الإجابة وقدر أنه لن يعرف أبدا بهذه الطريقة سر الحقيبة .

أشارت بيديها الي رأسها علامة أنها تريد النوم ، فقام يحملها مثل الليلة السابقة، وهو يضعها في فراشها ويغلق الأنوار عليها، جلس يتفكر هل يذهب لينام جوارها من البداية أم ينأي بنفسه عن فتح باب الشهوات من جديد.

قرر أن يقاوم رغباته وأن ينام علي الأريكة ولكنه لساعة كاملة جافاه النوم، شعر بالحنق لضعف إيمانه ولكون صبره علي نفسه لم يجاوز ساعة، فذهب يتسلل إلي فراشها الذي كان فراشه، واندس جانبها بهدوء وهو يتأمل ظلال وجهها في ضوء معتم يستر أكثر مما يكشف، لاحظت وجوده فوضعت يدها علي صدره دون أن تقل شيئا، شعر بالرغبة تشتعل في داخله، ضميره صرخ به بصوت عال ان يبتعد عنها ولكنه لم يستمع له، احتضنها بشده وطبع علي خديها قبلات خفيفة لم تبدي عليها اعتراضا ، حاول تقبيل شفتيها فأعرضت عنه، لم يدري هل لسبب رغبتها بالنوم أم عدم رغبتها به من الأساس

جرب إختبار رغبتها ، حرك يديه إلي الأسفل لمداعبة صدرها، لم تحرك ساكنا ولم تبدي أي ردة فعل، فتجرأ أكثر وزحف بيده إلي مناطق أخري، تحركت مره أخري

تمنعه، لم يستطع فهمها إن كانت تريده ان يستمر ام يتوقف فقرر التوقف من تلقاء نفسه ثم احتضنها لدقائق أخيرة قبل ان يغادر الغرفة وينام علي الأريكة كالمعتاد

في الصباح الباكر قام متثاقلا، يشعر بوهن الذنوب علي كاهله ويشعر بأنه سيظل مكبلا بها إلي الأبد، ربما عليه الإعتراف أمام ربه أنه ضعيف ويبكي من أجل النجاة، لا يستطيع التظاهر بالقوة مجددا وبأنه قادرا علي العودة، كان مثل من سلك طريقا وهو يظن أنه سيستطيع العودة فلما تقدم قليلا نسي كيف يعود وتفرقت به السبل ولا سبيل بأخراجه إلا بمساعدة إلهية ، ربما عليه البكاء او الصراخ لربه حتي يرسل له من يأخذ بيده.

شعر بكآبة خفيفة فلم يتناول إفطاره أو حتي يقوم بحمامه الصباحي المعتاد، رغم كل حديث (ريناتا) عن الرجل الصحي، غسل وجهه وصلي فرضه وشعر بالضيق كونه لا يعلم هل هو طاهر في الأساس أم نجس، ثم ارتدي ثيابه ومضي.

حاول أن يركز في عمله فلم يستطع بل وأخطا في التشخيص مرتين في الحالات التي مرت عليه، واحدة منهن أدركها قبل أن تغادر وغير لها نوع الدواء والثانية لم يدركها فقرر الإتصال بها لاحقا لدعوتها لكشف جديد

يعرف أن المعصية تجلب غضب الرب والغضب صوره كثير وليس أقلها عدم التوفيق في الحياة، وتذكر قوله تعالي " ومن يعرض عن ذكري فأن له معيشة ضنكا" قال السلف له من قبل لا يجتمع زنا مع غني ، وهم محقون في ذلك ولكن كيف السبيل في إطفاء غضب الرب ، لا سبيل سوي الصدقات، عليه التصدق

كثيرا، قام إلي إدارة التبرع بالدم بالمستشفي طالبا التبرع بالدم ثم أرسل إحدي الممرضات ببعض المال لوضعه في صندوق التبرعات في أحد الاماكن الخيرية القريبة وهو يتعشم ان يجدي هذا.

حاول أن يطيل في فترة وجوده بالمستشفي حتي يقلص فترة إحتكاكه ب (ريناتا) إلي الحد الأدني، لقد تجاوز معها بالأمس ولا يدري هل ستزل قدمه معها الي المعصية اليوم، ربما يطلب منها بصفتها صديقته ان تمنعه نفسها ولكنه تأكد أنه هش الايمان الأن فحتي لو صرفته عنها فهو سيبحث عن نساء أخريات لشهوته.

سمع مسبقا أن علامات قبول التوبة هو عدم عودة العبد إلي المعصية مجددا وحيث أنه قد عاد فهذا معناه أن توبته لم تقبل منه بعد

ولكن كيف الهروب والتوبة ؟

لقد حاول ولكنه فشل

هل يستسلم ؟

هل ينتظر قدر الله المحتوم فيه ؟

لا يظن أن هذا يجدي، فلو تيقن الناس من عدم التوبة لفجروا أكثر، لو ظن أن مصيره مهما كان إلي النار فكل شيء مباح الأن والذنوب في العصر الحديث أصبحت عددا غير حصري من الخيارات، كل رغباته ونزواته الشاذة ستنطلق من أعنتها، ربما يضاجع فتاة وأمها، أو اختان أو ربما يضاجع رجل مثله، فالنار أيا كانت مصيره ، ولكنه في قرارة نفسه أدرك ان الله أكبر من ذلك.

هو من قال " ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه".

أنهي يومه قرابة الثامنة مساءا ثم عاد بسيارته إلي البيت،حينما فتح باب شقته لاحظ أن الإضاءة معتمة والجو هاديء، هل يعقل أن تكون (ريناتا) نائمة، أشعل الإضاءة بهدوء وتفقد غرفة نومه ، كان فراشه مرتبا وهي لم تكن موجودة، هذا غريب والأغرب أن حقيبتها لم تكن هناك كذلك، لقد رحلت كما قررت ولكنها لم تخبره حتي برسالة نصية

قام بتفقد صوان ملابسه ، وهل فقد منه شيء ولكنه وجده كاملا ولام نفسه علي سوء الظن بها، كونها تبيع جسدها لا يعني أنها يمكنها ارتكاب جرائم أخري، هي اوضحت لها أنها تقوم بهذا لسبب معين وبإنقضائه سينقضي كل شيي.

شعر بالرغبة في تفقدها فأرسل لها رسالة نصية يسألها أين هي، جائته الإجابة علي الفور

– لقد مرت بي صديقتي وأخذتني إلي مكان أقامتي الجديد

– أين هذا ؟

– ليس بعيدا ، علي بعد عشر دقائق بالسيارة من مكانك

– جيد، هل سنلتقي مجددا ؟

– بالطبع، دعني أستقر وأبدا العمل وسأرسل لك موقعي الجديد ويمكننا التقابل في أي مطعم قريب من مسكني، هم لن يسمحوا بدخول أحدهم إلي سكني إلا لو كان أحد العملاء

- حسنا ، أعتني بنفسك

- نعم وأنت أيضا، لا تنسي ان تنظم حياتك، وعد لزوجتك وأطفالك كما أخبرتني.

- سأفعل، لا تقلقي.

- حسنا ، وداعا

- أنتظري ، هناك سر أريد أن أخبرك به

- ما هو ؟

- أنا لست أفغاني، أنا باكستاني

- ليس هناك فرق بين الأثنين بالنسبة لي ، ولكن لماذا أخفيت عني الأمر ؟

- كنت لا أريد ان تعتقدي أن الباكستانيين سيئين

- أنا لا أري أحد سيئا علي الاطلاق، أنا لم انظر إلي جنسيتك حينما صادقتك، أنا انظر لك كإنسان أيا كنت

- إذن هذا لا يغير من الأمر شيء معك ؟

- لا ، ولكن من الجيد أنك صارحتني، هذا يعني انك تخطو قدما في صداقتنا

- أنا اعتز بها

- وأنا أيضا، سأنام الأن لأن لدي عمل مبكرا

- حظا طيبا

- ولك أيضا ، احلاما سعيدة

أنهي تواصله معها ثم استدار يحادث (شهيدة) شعر بأنه مقصر في حقها كثيرا هذه الأيام، ربما عليه أن يبدأ بداية جديدة معها ولذا ارسل لها الكثير من عبارات الغزل الذي لم تعتده أذناها قبل ذلك منه حتي أنها شعرت بالقلق فسألته إن كان بخير وهل أنه مريض أم لا ؟

شعر بأن سؤالها يفصله عن حالته وشخصه الجديد، فعاد يصبح جافا معها، هو مستعد لإصلاح ما بينهما وهي ليست مستعدة بعد، هذه هي اللعنة الأبدية بين الرجل والمرأة ، يفتقدان لحظة الاتفاق، حينما يكون هو مستعدا للوهب لا تكون هي مستعدة له والعكس صحيح ، حينما تقول المرأة هيت لك ، يكون الرجل في حالة معاذ الله.

توقف عن كلامه المعسول معها وحول وجهته لكلام أخر عن امور الحياة التقليدية في (باكستان) وكيف تجري الأمور مع أسرتها وغيره من الكلام الممطوط الممل قبل أن تستأذن منه في النوم لأنها مجهدة.

لم يشعر برغبة في النوم ، يشعر بالقلق من كل شيء حوله، علاقته بكلا من (شهيدة) و(ريناتا) علاقته بعمله، والأهم علاقته بربه، كل هذه العلاقات تسير بشكل لا يرضي عنه، حاول القيام للصلاة فتكاسل أو اثقلته ذنوبه وعلم هو ذلك، شعر بضيق في صدره ولم يشعر بنفسه إلا وهو يوسع هذا الضيق عن طريق فعل ذنب جديد.

ففتح جواله واخذ يسترق المتعة المحرمة مجددا عبر الأنترنت

الفصل السادس
(رؤية من سبق)

ربط حزام مقعده داخل الطائرة وهو يسترخي قليلا ويحاول اغلاق عيناه، لم يهتم لسماع تعليمات الطائرة المذاعة، اخفي عينيه تحت ستار من النوم الزائف ولو دقق أحدهم في وجهه لرأي قطيرات من دمع تنسال بشكل خجول علي وجنتيه قبل أن تختفي في داخل شعيرات ذقنه الذي نما حديثا من جديد.

مر شهر منذ عاد مرة أخري يغترف من الذنوب الصغيرة هنا وهناك ولكنه ينهل منها بشدة هذه المرة، شدة من يأس من رحمة الله به فعادي الله أكثر ، لم يحب نفسه وشعر بنفسه ينسلخ من ذاته القديمة، صار متبلد الشعور

يؤدي عمله بلا أحساس تقريبا حتي جائه هذا الإتصال.

كان من والدته وهي التي ما فعلتها قط في حياته أن تتصل به من تلقاء نفسها، بل كانت دائما ما تنتظر اتصاله بها أولا وهو علي معصيته الشديدة كان شديد البر بوالدته فيصلها كل فترة وأخري ويري أن ذلك ملمسا إلي عدم سخط الله الكامل عليه، هي وحدها من تملأ فراغ قلبه إن خلي من الحب.

كان الوقت مبكرا وشعر بالقلق وهو يجيب علي الهاتف، تنهد ارتياحا حينما سمع صوتها وأيقن أنها بخير وبعد عبارات تقليدية بحتة قالت له بحذر :

- (عدنان) أريد أن أخبرك بخبر غير سار.

- خيرا يا أمي ، أخبريني

- (عمر) صديقك ، مات اليوم

صمت للحظة وخيل إليه أنه لم يسمع العبارة جيدا ولكن العبارة تكررت في عقله بعدها وكأنها ناقوس يدق في الخلاء

(عمر) صديقك، مات اليوم

(عمر) صديقك، مات اليوم

(عمر) صديقك، مات اليوم

كانت أمه تعرف أنه علي صداقة مقربة مع (عمر) كان بالنسبة لها صديق العائلة الودود ومثل كل الأمهات لم تكن تعرف شيئا عن جانبه الأسود الأخر ، يكفيها انه صديق إبنها الأوحد منذ الطفولة ولذا فور ما ان سمعت بموته حتي أسرعت تبلغ إبنها لأنها تعلم أن الأمر سيهمه.

عاد يسألها أسئلة غير منطقية وقد صدمه الخبر :

- (عمر) صديقي أنا؟ مات ؟ متي ؟ وكيف ؟

- نعم يا بني ، البقاء لله، سمعت الخبر ولا أعرف أي تفاصيل اخري

صمت للحظات وهو لا يدري ماذا يقول وكأن الأرض تنشق من تحته وتبتلعه إلي هوة من الحزن العميق فعادت تسأله أمه في قلق :

- (عدنان) هل أنت هنا؟

- نعم يا أمي، شكرا علي إخباري.

- البقاء لله يا بني.

- البقاء لله يا أمي، سأسافر إلي (باكستان) في اول طائرة لابد ان احضر العزاء والدفن

- لا أظنك ستلحق الدفن ، فهم سيفعلونه اليوم، ربما تلحق العزاء، ربنا يبارك بك.

- إلي اللقاء يا أمي

اغلق هاتفه وهو يسرع بتقديم طلب إجازته وحجز أول طائرة يقابلها نحو (باكستان) وهاهو يجلس في الطائرة وحيدا مع دموعه

كان (عمر) يمثل له حياة كاملة عاشها، ذلك الصديق الذي لم يتساقط مع من تساقطوا عبر الزمن، والذي أصر ان يرخي ويشد في حبل الصداقة فلم ينقطع طوال تلك المدة الطويلة رغم إنشغالات الحياة وتقطعات السفر، كان الشخص الذي يدافع عنه حينما يريد الحماية ويقرضه حينما يريد المال وينام لديه حينما يسعي للمأوي ويفضفض له حينما يحن إلي إذن تسمع ولسان ينصح، نعم كان (عمر) حينها مختلفا عنه فقد سبقه إلي المعاصي وجاهر بها ولم يستحي منها ولكنه ظل صديقه.

كان (عمر) من نفس سنه ولم يدري كيف مات، هل هو حادث أم مرض ام وفاة مفاجئة ولكن وفاته المبكرة كشفت له حقيقة طالما تجاهلها بإن وفاته هو أيضا ربما تحدث في أي لحظة، كان نصف مشاعره حزن والنصف الأخر خوف شديد.

ماذا يفعل الأن لو كان هو مكان (عمر) ؟

ماذا سيفعل تحت الثري حينما تأتي الملائكة لحسابه وهو يدرك ان الله لم يغفر له ؟ هذه سفينة الزمان لا تعود، مهما صرخ لن يعود ليصلح ما فعل، لا وقت لاستغفار أخر أو لدموع ندم إضافية ولا حتي لصلاة يرجو بها نجاة

رفعت الأقلام وجفت الصحف

ياه، الأمر مرعب بحق

كان (عمر) مسرفا علي نفسه في ارتكاب الذنوب وخالط نساء فاسدات واخري صالحات فأفسدهن، وعلي حد علمه لم يتب حتي لحظة وفاته ، فكيف سيقابل ربه وما الذي سيؤول إليه مصيره، يود أن يعرف، هذه هي فاكهة المعرفة المحرمة الحقيقية التي عليه ان يسعي لها، ما مصير العبد بعد الموت ؟ وكيف يتيقن من حسن الختام ؟

داهمته اسئلة كثيرة بلا إجابة أثناء رحلته، لم يتناول حتي وجبة الطائرة التي أحضروها له من فرط حزنه، حينما وصل الي (كراتشي) عرج علي بيت أهله، قبل امه وأحتضنها وبكي علي صدرها كثيرا، كانت المسكينة تظن انه يبكي صديقه، والحقيقة انه كان يبكي نفسه اولا ، انه مثل ان تصدم سيارة شخصان فيموت احدهما ويظل الأخر وتبكي لأن الله منحك فرصة جديدة انت لا تستحقها وتحزن علي الأخر الذي لم يحز علي هذه الفرصة مثلك

ترك امتعته القليلة بالمنزل وذهب بسرعة إلي دار (عمر) كان الحزن العميق يخيم علي المكان، وجه العزاء لوالدة (عمر) في سرادق النساء ثم ذهب الي حيث ركن الرجال

يجلس مع والد (عمر) الذي بدا جامدا عاديا في ملامحه، تري هل ذنوب الفتي اورثت الأب القسوة وعدم الحزن علي من مضي.

سأله (عدنان) في حذر وفضول :

- عظم الله أجرك يا والدي، كيف مات وأين؟

- بدون مقدمات، كان عائدا من الخارج يضحك كعادته ، طلب طعاما ثم جلس يسترخي علي احد المقاعد، جهزت والدته الطعام ثم دنت منه لتنبهه، ما إن لامست رأسه حتي سقط علي صدره ، لقد مات أثناء جلسته.

- هل اشتكي من مرض او تعب من قبل ؟

- لا شيء، كان سليما مثل حصان الحقل

- كيف كان في أخر أيامه ؟

- ماذا تعني؟

- أعني حاله مع الله يا عمي

صمت الأب قليلا قبل أن يقف ويمشي بضع خطوات تاركا (عدنان) ثم يشير إليه أن يتبعه، وكأنما أراد أن يفضي له بسر ، فتبعه صاغرا حتي خرجا إلي مكان رحب لا يراهم فيهم من أحد فالتفت الأب له وهو يقول :

- كان حاله مع الله كما كان دائما، ليس بينه وبين الله حبل موصول، نسمع بين حين وأخر عن علاقته بفتاة او بأخري، وكان المقبور مفرطا في القيام بذنوب مركبة، فلا يكتفي سوي بالمتزوجات، فيحمل وزرها ووزر نفسه ووزر زوجها وربما أنجب

طفلا من حرام هنا أو هناك فحمل وزر الطفل كذلك، في أواخر أيامه بدا غضب الله يظهر عليه، لم يوفق في أي شيء يعمله، وترك صلاته وصار قاسي القلب، حاول أن يخفي قسوة قلبه بكثرة المزاح والضحك ولكنني من داخلي كنت اعلم ان هذا من علامات تحجر القلب، كثرة الضحك بلا سبب.

صمت (عدنان) وقد شعر بأن الرجل يوشك علي البكاء ثم قال له مخففا :

- ربنا يغفر له ويسامحه علي ما أسرف

- اللهم أمين

- هل يمكنني زيارة قبره ؟

- طبعا، انت تعرف مقابرنا جيدا، هناك دفناه إلي جوار قبر جده، هل تريدنني ان أتي معك؟

- لا شكرا يا عمي ، أفضل الذهاب منفردا

ودع (عدنان) والد (عمر) وهو يسعي نحو مقابر القرية البعيدة في شرود، هناك حيث المستقر الأخير لكل الناس، البر والفاجر يجتمعون امام الله فلا عودة لما تركوه ولا تمسك بما اخذوه، صلي من صلي وقام من قام وصام من صام ولا ينفع حينئذ مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم.

طالعته اول شواهد القبور فأبطا من مشيه وهو يلقي التحية علي أهل القبور قائلا:

- سلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم السابقون وإنا ان شاء الله بكم لاحقون.

شعر بغصة في حلقه حينما القي السلام وقد ذكره أنه مفارق حياته ودينه ليحلق بهؤلاء يوما ما، لا يدري لعله قريبا ولعله الأن، شعر برجفة تجتاح كيانه، سعي يبحث عن مقابر أسرة (عمر) حتي وجدها، ثم طالعه شاهد قبر الشاب الفقيد.

هنا ترقد ثلاثون عاما من الحياة الصاخبة، انتهت بصمت القبور المطبق والذي يخفي خلفه الكثير، جلس علي ركبتيه يتامل شاهد القبر وهو يقول :

- السلام عليكم يا (عمر)

جاوبه صمت القبر فسالت دمعه كبيرة منه علي خده وهو يقول في رجاء وعيناه معلقتان بالشاهد:

- كيف وجدت الأخرة يا (عمر) ؟ كيف وجدت الله يا (عمر) ؟ هل وجدته رحمن رحيم كما قال علي نفسه ام وجدته شديد العقاب كما قال علي نفسه كذلك ؟ هل غفر الله لك؟ هل عاتبك ثم غفر لك؟ هل أشاح بوجهه عنك؟ هل ضمة القبر مؤلمة يا (عمر) ؟ماذا تفعل الأن يا (عمر) هل تسمعني يا (عمر) هل تشعر بي يا (عمر) ؟

لم يحتمل ثقل عباراته علي نفسه فأخذته رقة وطفق يبكي مثل الطفل الصغير الذي أضاع أمه حتي سال من أنفه فأخذ يمسح فمه وعيناه وأنفه بثيابه وهو يجلس القرفصاء ويحتضن القبر قائلا:

- اللهم أنك كريم عفو تحب العفو فأعفو عني وعن (عمر) اللهم اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا، اللهم إننا مسكينان فقيران وأنت الغني ، ماذا تنتفع بعذابنا، ماذا

ستخسر النار لو فقدت كلانا وماذا سيتغير بالجنة لو ذهبنا لها، حتي دعنا علي جبل الاعراف يا الله ، لا نريد جنة ولا نار، اغفر يا رب للمذنب الذي هو تحت التراب حي والي المذنب الذي هو فوق التراب ميت، اغفر للميت والحي يا الله، نحن مجنونان يا الله وليس علي المجنون من حرج، كيف يكون عاقلا من باع الأخرة بلذة ساعة من شهوة

لم يستطع ان يكمل علامه فقد أصابته غصة واخذ يبكي مجددا وكان يوشك علي الصراخ ولكن مرأي رجال يقتربون من المقابر منعه عن ذلك فقام يخفي وجهه عنهم وهو ينصرف نحو داره.

حاول أن يبدو طبيعيا مع والدته واخوته ولكن الحزن كسا عينيه وكان يختلي بنفسه في الحمام بين حين وأخر ليبكي ثم يعاود الخروج لهم وكأن شيئا لم يكن، كان قد حصل علي إجازة لأسبوع واحد فقط وحضرت (شهيدة) رغما عنها الي (كراتشي) حتي تراه وتزور عائلته في وقت واحد.

بين احضان (شهيدة) لم ينسي احزانه، كان يشعر بأنه لا يستحقها ولا يستحق أيا مما وهبه الله أياه، لأول مره يدرك ان الله قد من عليه بالكثير، أسرة رائعة وعمل جيد ومستقبل واعد وغيرها وغيرها من النعم ثم مد هو يده ليخالف ما نهي الله عنه بأشد مما كان.

ماذا لو سحب الله منه تلك النعم واحدة تلو الأخري، وماذا لو انتزعه من نعمه مرة واحدة بأن اورده الموت ، كيف سيلتقي الله وعلي كتفيه كل هذه الذنوب ، لو كان

يذنب ذنبا واحد كل يوم منذ عشرين سنة فهذا معناه اكثر من ستة الاف ذنب وهو يكاد يقسم لنفسه أنه في أحد الايام اذنب اكثر من ستة الاف ذنب فما محصلة هذا كله، ملايين الذنوب الصغيرة وبينها كبائر ليس أقلها الزنا الذي أقترفه.

شعرت (شهيدة) بالرفق تجاهه وتجاه حزنه فلانت مشاعرها نحوه ومنحته حبا شديدا وحميمية اشتاق لها ولكن المسألة الأن صارت أكبر من (شهيدة) صار تفكيره بالأخرة شديدا عقب ما حدث ل (عمر) ليس عليه تسويف التوبة ، لا يستطيع تأجيل هذا الأمر للغد فلا يدري هل هناك غد أم لا.

عليه العودة من الله.

وليبكي علي بابه حتي يؤذن له بالدخول.

صرح ل (شهيدة) بأنه مل من حياة السفر والبعد عنها وأنه يفكر في الاستقالة والعودة للعمل في (باكستان) قالت له بأنه هو من اختار قرار السفر من البداية وهو من عليه أخذ قرار العودة ، وشعر بموافقتها الضمنية علي ذلك

انقضي الاسبوع سريعا وعاد مرة أخري إلي سلطنة (عمان) حيث قدم إستقالته فور عودته إلي ادارة المستشفي التي فوجئت بقراره وحاولت إثنائه عنه ولكنه أصر عليه رغم ان شيطانه ألح عليه ان يقبل البقاء واقنعه أنه يمكنه التوبة وهو في (عمان) فكلها بلاد الله وحيثما تولي وجد الله هناك ولكنه كان يعلم أنه هناك مثل الغنم الشاردة عن القطيع والشيطان لا يقوي سوي علي الغنم الشاردة.

حاول عدم التواصل مع (ريناتا) ولم يجب علي رسائلها المتكررة، حذف حسابه علي مواقع التواصل الاجتماعي في حركة أدهشت أهله قبل أن يعود تحت وطاة بعض المطالبات بعمل حساب محدود ثم يضيف عليه فقط المقربين منه والذي يهمهم أمره.

شعر مع الوقت بالرغبة بالتحدث مع (ريناتا) الفتاة ليست سيئة ولا داعي للبعد عنها، هي بائعة هوي وليست فتاة لعوب ، تعرف حدودها وربما لو ولدت في غير مجتمع لصارت راهبة أو سيدة مجتمع راقية ولكنها ولدت في مجتمع لاديني بحت فكيف لها أن تكون.

عاد يجيب علي رسائلها وأخبرها أنه كان مسافرا لبعض الوقت لحضور جنازة أعز أصدقائه

قالت له في مواساة :

- تقبل خالص التعازي، هل كان كبيرا بالعمر ؟

- لا صغيرا، الموت أختطفه مبكرا.

- الموت لا يخطف احد مبكرا، كل منا له موعده المحدد

- هل تؤمنين بالحياة الأخري ؟

- نعم أؤمن بها ، واؤمن بوجود ثواب وعقاب

- وهل توقنين بأنك ستدخلين الجنة ؟

- نعم أوقن بذلك

- لماذا انت متأكدة ؟

- أنا لم أفعل شيئا سيئا، لم اغش في ميزان ولم أسرق من فقير ولم أخالف اداب مهنتي

ضحك في عصبية لمنطقها قبل أن يجيبيها :

- تتحدثين عن أداب المهنة وكأنك طبيبة.

- أنا كذلك لو دققت النظر ، أنا اعالج جروح الرجال المتعبين، لو كان يجد الدواء لدي زوجته أو لدي غيري لما أتي إلي، كما أن مهنتي التي لا تحبها لها أداب غيري لا يراعيها، أنا نظيفة واحرص علي عدم نقل المرض إلي غيري، ولا افشي اسرار احد، لا ابتز العملاء ولا اخرج من عندهم بدون ان يكونوا راضين تمام الرضا عني.

- (ريناتا) أفيقي من طريقة التفكير هذه، في كل الثقافات ، أنت عاهرة، مومس ، شئت ام أبيت

جاوبه صمت عميق من طرفها علي عبارته الأخيرة وشعر بأنه قد تمادي في الأمر كثيرا معها فعاد يرسل لها تعبيرا مطأطيء الرأس علي عبارته مع عبارة :

- أنا أسف.

استمر الصمت مطبق علي عبارته ، لاشك أنها غاضبة ولام نفسه علي عبارته التي تفوه بها، لا يوجد إمراة علي الأرض تستحق أن توصف بالعهر وهي لم تختاره طريقا، لا يوجد فتاة صغيرة مثلا ستقول لمعلمتها بالمدرسة حينما تسألها ماذا تودي أن تكوني بالمستقبل وتكون اجابتها أريد أن اصبح عاهرة، الكل سيطمحن أن يكن معلمات أو طبيبات أو حتي رائدات فضاء ولن تفكر احداهن في امتهان تلك المهنة

حتي لو كانت مهنة تدر مالا أكثر، ولذا وصم إنسان بمهنة لم يختارها ولم يرغب فيها فيه كثير من الظلم، هي قالت له أنها تؤديها لغرض مؤقت من أجل أن تتخلص من ديونها ثم بعد ذلك ستنصرف عنها وتمارس مهنة المحاماة.

لا يوجد جدوي أو فائدة من معايرة إنسان بظروف لم يخترها لنفسه كأن تعير فقيرا بفقرة أو إمرأة بقصر قامتها أو شاب ما لتمتعه بجنسية دولة ما، هذه أمور خارج نطاق السيطرة والكل معرض لها.

يود الإعتذار لها مجددا ولكن لن يفلح إعتذاره الأن ولذا أجله لوقت لاحق وانشغل ببعض شأنه حتي انصرمت الليلة.

في اليوم التالي شعر أنه لازال مدينا لها بإعتذار فأرسل لها رسالة نصية اخري تقول تحمل اعتذارا أعده بعناية ، لم تجبه في حينها ولكنها أجابته بعدها بوقت طويل :

- هل لي ان أسالك سؤال ؟

- نعم بالطبع

- انا في نظر الناس من كل الثقافات عاهرة ، فماذا اكون في نظرك انت ؟

- أنت صديقتي.

- نعم، صديقتك العاهرة !

- لا بل صديقتي الطيبة المخلصة ذات العقل الواسع.

- ولماذا تصر علي صداقتي وأنت أمام الناس كما تبدو الشاب العفيف الشريف طاهر الذيل، ما الذي يجمعك بي، ألا تخشي علي سمعتك ؟

- ليس الأمر كذلك، يكفيني أنك هناك.

- هذا ليس يكفيني، نحن منذ تعارفنا لم نسر في شارع واحد معا، لم نخرج لتناول الطعام سويا وبالتأكيد تخفي سجل حديثك معي عن الأخرين

- (ريناتا) انتظري سأشرح لك.

- لا داعي للشرح، أنت لم تعاملني كإنسانة، أو كصديقة، بالمناسبة أنت لا تختلف عني كثيرا، كلانا في نظر المجتمع عاهر، الفرق أنك تدفع وأنا أقبض، الفرق أنك رجل وأنا إمراة، وربما فرقا في الثقافات كذلك، هل تعلم أنه في بلادي تلك المهنة محرمة بحكم القانون وتصل عقوبتها إلي الإعدام رميا بالرصاص.

- أسف يا (ريناتا) أنا أعتذر عن كل ما قلته سابقا.

- إعتذارك غير مقبول ولكني أنصحك أن تبحث عن الإنسان الذي أضعته بداخلك، قبل أن تبحث عن الشخص الذي يود الناس أن تكونه ، قبل أن تفتش عن عيوب الأخرين أصلح عيوبك.

- سأبرهن لك يا (ريناتا) علي اني مختلف.

- كيف؟

استجمع شجاعته وهو يفكر في أمر ما وجالت فكرة بخاطرة تقبلها علي غرابتها قبل أن يكتب لها :

- (ريناتا) هل تتزوجيني ؟

جاوبه صمت من طرفها منحه الفرصة للتفكر في طريقة برهانه الغريبة علي إختلافه، كيف يتأتي له أن يعرض الزواج علي بائعة هوي جال بطرقاتها عشرات الرجال قبله، وهو الطبيب المسلم المرموق المتزوج الأب، شعر بأنه جانبه الصواب كثيرا في ذلك ولكنه عاد يقول لنفسه ولكنها محقة أنا لا أختلف عنها كثيرا ، كلانا عاهران وقد ذكر الله عز وجل في كتابه أن الزاني لا ينكح سوي زانية أو مشركة وهي ما تناسبه.

يشعر بأنه لا يستحق كذلك ان يكون مع زوجته التي حفظت فراشه أثناء غيابه بينما هو لم يفعل، هي تستحق زوجا أفضل منه ، بالتأكيد لو عرف أبنائه في المستقبل بما فعل فلن يكون قدوة لهم وسيكسر صورة الأبوة المرجوة في اعينهم ، ولكن هل لو قبلت (ريناتا) فعلا عرضه ، هل سيفعلها حقا أم سيتملص منه وما الذي يهدف له من هذا الزواج هل يقصد به الإعتذار لها أم إعفافها عن طريق الحرام أم انه فعلا أحبها، ربما هو مزيج من هذا وذاك ولكن مشاعره لم تستقر بعد حتي يحدد.

طال إنتظاره لردها قبل أن ترد عليه قائلة:

- أنت تبدو غير متزن بالنسبة لي الأن، طلبك للزواج مني مع ما تعرفه عني وما بدر منك هو جنون مطبق،أنصحك أن تري طبيب نفسي.

حاول إرسال رسالة لها ولكن بدا أمامه أن الرسالة لم تصلها، لربما قامت بحجبه من أرقامها او أن الانترنت يعاني مشكلة معها، وتفكر مليا في عبارتها، نعم هو محق، عليه البحث عن طبيب نفسي لكي يعالجه من عدم إتزان شخصيته وعدم الإتساق

بين مخبره ومظهره، هو لا يفكر ولا يعمل ولا يعيش بطريقة مستقيمة سوية، ويكاد يجزم أنه الوحيد بين البشر الذي لديه كل هذا الكم من التناقضات تحت سقف عقل واحد.

قام بالبحث عن أرقام وعناوين بعض الأطباء النفسيين في سلطنة عمان، تحاشي هؤلاء الموجودين في (صحار) حتي لا يكشف أمره بين زملائه قبل أن يحصل علي عنوان ورقم طبيبة نفسية إيطالية موجودة في (مسقط) العاصمة العمانية الجميلة، فأتصل بها وطلب تحديد موعد ثم ذهب إليها في العنوان المحدد.

كانت طبيبة خمسينية العمر، شعيرات رأسها تراوحت بين اللونين الأبيض والأسود، ولكن تقادم الزمن لم يمنع أن وجهها ظل به مسحة من جمال وإن أكتست تعبيراتها بالجدية، لخجله الشديد منحها اسما وهوية مزيفة له، ادعي أنه مهندس بترول يدعي (شهاب) من (اليمن) هي لن تميز الفرق علي أي حال ولكنه كان يعلم في قرارة نفسه من إطلاعه المحدود علي دراسات علم النفس أنه بذلك لا يساعدها علي تحليل شخصيته ومنحه العلاج الكافي، هي مثل الطبيب الذي يكشف علي داء حقيقي، لو أخبرها المريض مثلا أنه يعمل محاسبا بدلا من أنه يعمل عاملا بمنجم فحم، لن تقدر أن مرضه هذا ناتج عن الفحم ذاته ولكن لشعوره أنه يفعل شيئا عجيبا بزيارته لطبيب نفسي لم يشأ أن يفصح عن هويته من أول جلسة.

قامت بكل التصرفات التي يتوقعها من أي طبيب نفسي تقليدي، طلبت منه الإسترخاء علي أريكة ثم اتخذت موقعها بمقعد إلي جواره وهي تسأله أسئلة

تقليدية بسيطة في البداية لكسر الحاجز النفسي فيما بينها وبينه، ثم سألته مباشرة ما الذي أتي به إلي هنا ؟

– حسنا أنا أعاني مشكلة مزمنة منذ مراهقتي، أنا مهووس بالجنس

– الهوس بالجنس ليس مشكلة طالما له حدود وضوابط.

– المشكلة أنه ليس لي حدود وضوابط، إن الهوس قد تطور ليستولي علي كياني كله من الداخل والخارج، صرت أنحدر من قاع إلي قاع وكل يوم أتورط أكثر.

– أنت اخبرتني انك متزوج ولديك أطفال.

– نعم ، متزوج منذ عدة سنوات

– وهل علاقتك مع زوجتك طبيعية ؟

تردد قليلا في الإجابة قبل أن يقول :

– يحدث بيننا ما يحدث بين الأزواج الطبيعين ولكني لا أشعر بنفسي معها، هي زوجة تقليدية لو تعلمين ما أقصده

– لأسالك سؤال ، هل كنت تفضل ان تكون زوجتك غير طبيعية ، أقصد أن تكون متحررة اكثر ؟

– بالطبع، كان هذا ليحدث فرقا بالتأكيد

– هل انت واثق من ذلك ؟

– بالتأكيد، ولما لا ؟

– ربما قادتك خلفيتك الملتزمة مثل كل الشرقيين للشك في سلوكها فيما بعد أو عن كيف اكتسبت تلك الخبرة الرائعة في الفراش ، بل وستشعر بالضيق كلما فقدت القدرة علي مجاراتها.

– لا اظن ولكن لنفترض هذا،كنت سأكون سعيدا علي كل حال.

– هل تعاشر نساء أخريات ؟

صمت مرة أخري فعادت تستطرد:

– حاول ان تكون صادقا في إجاباتك ، هذه الإجابات ستفيدك قبل أن تفيدني

كان يعلم ان المجاهرة بالذنب محرمة في دينه ولكن تسائل عن الحديث عن الذنب مع طبيبة نفسية غربية في عيادة طبية من أجل العلاج ، هل يعتبر مجاهرة او شرحا لمرض، قبل أن يقول :

– نعم حدث، مرة واحدة

– وكيف كانت تجربتك ؟

– كانت جيدة ولكني لم استمتع بها

– أعلم ان الجنس في عقيدتك محرم ولذا ربما هذا السبب الذي جعلك لا تستمع بها

– اظن هذا، خفت كثيرا وأرتبكت ولم استمتع كما ينبغي

– هل كانت الفتاة محترفة أم مثل زوجتك ؟

– لا كانت محترفة للغاية

– هل تميل إلي فتيات بعينهن ؟

- اميل إلي كل الأنواع

- وهل تميل إلي الذكور كذلك ؟

- لا طبعا،هذا ضد عقيدتي

- والفتيات خارج إطار الزواج كذلك ضد عقيدتك فلماذا تركت هذا واخترت ذاك ؟

- مدي التحريم مختلف في الإثنتان

- هل صارحت زوجتك بتلك التجربة ؟

- لا بالطبع، ستتركني لو فعلت وسأوصم بالعار في مجتمعي.

- ربما ينبغي ان تصارحها، أنت تعاني من عقدة ذنب واضحة وستخف بمجرد أن تصارحها ولو سامحتك ستنتهي تلقائيا

- حتي لو صارحتها وسامحتني ، مشكلتي الأن في شيطان الجنس الذي يسيطر علي كل جوارحي، أنا حياتي لا تسير علي ما يرام وتفكيري أصبح مشوش، أبحث عن حل ، علاقتي بربي سيئة جدا هذه الأيام

بدات تتحدث معه عن الإنفتاح مع الذات والمصارحة مع الشريك والعديد من الأمور ولكنه لم يشعر بالراحة لكل هذا الأمر، الطبيب النفسي لن يساعده ، هي إمراة وغربية ولن تفهم ما الذي يمر به، ستحاول أن تخضعه لمعايير الطب النفسي التقليدية ولن يساعده ذلك وستمنحه عشرات من النصائح التي لن تجدي معه. هو يبحث عن شيء أكثر روحانية، كيف سيساعده طبيب نفسي في علاقته مع ربه

وينظمها، وحتي لو توقف عن ارتكاب ذنوب جديدة كيف سيعرف أن الذنوب القديمة قد محيت ، هو يحتاج إلي رجل دين وليس إلي طبيب نفسي.

أنهي الجلسة النفسية ولم يشعر بالراحة، بل وزاد ضيقه انه قد صرح بمكنون ذاته في تلك الجلسة، وعدها بتكرار الجلسة قريبا وفي قرارة نفسه كان يكذب هو لن يعود مرة أخري إلي هنا.

حاول الإتصال مرارا علي (ريناتا) ولكنها لم تجب علي إتصاله، لابد أن غضبها الشديد حال بينها وبين الحديث معه، تسائل في قرارة نفسه ماذا عن غضب الله الشديد منه وقد فعل ما هو أفظع ، ولكنه هدأ من فاجعته بتذكيره لنفسه أن رحمة الله قد وسعت كل شيء وأنه يوم القيامة من كثرة المغفرة حتي أن إبليس ليتطلع برأسه رغبة في أن يغفر له.

مضت به الأيام بطيئة حتي انقضت مهلة الشهران التي حددتهما إدارة المستشفي لرحيله، في غضون تلك المدة حصل علي عمل في مستشفي كبير في (إسلام أباد) نفسها، كما طلب من (شهيدة) تجهيز عيادة مشتركة له ولها حتي يمارسان بها عملا إضافيا، ولكنه قام بتأجيل موعد اللحاق بالمستشفي والعيادة لمدة شهر من بعد وصوله إلي (باكستان) كان يرغب في فسحة من الوقت حتي يجد ذاته وتستقر نفسيته المضطربة.

حينما عاد إلي (باكستان) كان هادئا علي غير المعتاد ، يتحدث ببطء ويتحرك بهدوء ويتصرف برزانة غي معهودة، قدرت (شهيدة) أنه ربما كان مرهقا او مريضا

واوصته ان يهتم بصحته وغذائه ولكنه الحقيقة كان يعلم ان الذنوب قد أثقلت كاهله فجعلته علي تلك الصورة، حطام إنسان.

حاول أن يتقرب من طفليه حتي يعوضهما لحظات البعد الطويلة والفراق المتكرر وشاركهما في كل لحظات لعبهما واهتماماتهما ولكنه في داخله لم يكن يسشعر نفسه أثناء كذلك وكأن هناك حاجزا نفسيا بينه وبين الجميع.

كان يلعب ولكن بتظاهر ويضحك ولكن بصعوبة ويغتصب إبتسامات من القلب حتي إذا وصلت إلي سطح نفسه صارت باهتة ، لا يستطيع الإستمرار بهذا النمط طويلا فقدر أنه لابد ان يذهب لإستعادة نفسه السوية التي يحب أن يكونها، صرح ل (شهيدة) أنه يريد الذهاب في رحلة خلوية لوحده، حاولت أن تستوضح منه ما الذي يخفيه عنها ولكنه لم يفعل وإن وشت عيناه بمكنون صدره وأنه يعاني من خطب ما، فوافقت (شهيدة) علي مضض .

في غضون ذلك كان يتردد علي الكثير من المساجد هنا وهناك ويلتقي عددا من الشيوخ يسألهم عن أمور كثيرة تخصه، لم تروي الإجابات ظمأه، لأنها كلها إجابات تقليدية علي غرار كيفية التوبة من الذنوب وتجديد الإيمان والتمسك بالصبر والصلاة، إنها مثل أن تقل لإنسان ما كل طعاما من أجل ان يزيد وزنك، من غير ان تحدد له ما نوع الطعام وكم سيزيد وزنه وما الفترة الزمنية المحددة لذلك، هي إجابات مطاطة.

لاحظ أخر شيخ قابله ذلك الأمر وأنه لم يهتم كثيرا لسماع رأيه فقال له في رفق وعيناه تسبران روحه:

- لم تعجبك إجاباتي ، أليس كذلك ؟

- هي إجابات رائعة وسأعمل بها ولكن لم تجب علي سؤالي الأساسي الذي جئت من أجله.

- وما هو ؟

- كيف سأتاكد أن الله قد غفر لي ؟

- قلت لك ستجد إنشراحا في الصدر وتوفيقا في العمل.

- لربما أجد هذا وحينما أتي يوم القيامة أجد الله قد نفذ في أيته الكريمة" ثم بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون"

- حسنا، انت تريد أن تتاكد من المغفرة وكذلك من عدم العودة إلي الذنوب مرة أخري ؟

- نعم، لا أريد أن اصبح ضعيفا هشا مرة اخري.

- إذن إجابتك ليست لدي.

- شكرا لصراحتك

- ولكن لا يعني أنها ليست موجودة

- لقد طفت بعشرة مساجد حتي الأن ، ولم يعطني أحدهم إجابة تشفيني.

– لن يعطيك أحدهم صك غفران ولو فعل أحدهم هذا فهو مدع كاذب، لا أحد منا يضمن رحمة الله ويوزعها من عنده، كلنا سنأتي الله يوم القيامة ونحن وجلون مما فعلنا.

– إذن أين أجد الإجابة ؟

– أظن أن أحدهم يحمل الإجابة ولكنه ليس هنا والوصول له صعب، هل أنت علي إستعداد للذهاب للعثور عليه ؟

– طبعا.

– مهما تطلب الأمر ؟

– بالتأكيد.

– حسنا، سأدلك عليه وأنت وحظك ، عساه أن يقبلك

– لم أفهم

بدأ الشيخ يشرح له الأمر، حدثه عن متصوف عجوز يعيش في كهف جبلي في جبل إلوم قرب مدينة مينجورا في وادي سوات، هذا الشيخ يعتزل الناس منذ عشرين عاما تقريبا ولكن كل من احتك به عاد مختلفا وقد غيرت حياته، المشكلة الوحيدة أن الوصول إليه صعب فلا يوجد أحد يعرف موقع الكهف بالتحديد وكذلك يصعب الوصول له بالمواصلات العادية .

شعر (عدنان) أنه قد وجد ضالته، ليحاول ويذهب إلي ذلك العابد المتنسك في الجبال لعله يجد لديه ما يبحث عنه، حزم أمتعته الخفيفة وحرص عل حمل مال كاف

ثم ذهب قاصدا وادي (سوات) كان الوادي فسيحا رحبا وقرب مدينة مينجورا الشهيرة استقر الجبل هناك، كان جبلا مهيبا يزيد عن الفين ومائتي متر ارتفاعا، حاول أن يستوضح من اهل المدينة وبالذات كبار السن عن شخصية ذلك المتصوف الذي يسكن الجبل، لم يعرفه الكثيرين ولم يرأه أي احد من قبل، كلهم يعرفون بوجوده ولكن لا يعرفون طريقة الوصول له.

كان هذا يعني أنه عليه أن يقطع الرحلة إلي هناك لوحده وهو وحظه في البحث، بدل ملابسه لأخري تحتمل عناء الرحلة، وحمل حقيبة علي ظهره بها سلاح صغير وطعام كاف وماء وصندوق من الإسعافات الأولية تحسبا لما قد يجده هناك، ثم سار يقصد الجبل، ليوم كامل كان يبحث بين زوايا الجبل من كل الأنحاء بحثا عن الكهف المزعوم دون أن يجده،حتي بدأ يظن ان الناس يسخرون منه، تفحص الجبل كله ولم يدع شبرا هنا أو هناك دون أن يبحث فيه ولكنه لم يوفق في مسعاه حتي جن عليه الليل فأشعل نار ليتدفأ بها ويستعين بها علي الرؤية وخصوصا أن المكان بدا مخيفا في الليل بشدة ولم يخفف من حدته سوي المنظر الساحر لمدينة (مينجورا) في الأسفل

في صباح اليوم التالي تناول إفطاره فوق الجبل وقد شعر بالبرد الشديد يأكل عظامه، نظر من حوله ثم صرخ باعلي صوته " يا شيخ "

لم يجد لصدي صوته من إجابة تستحق عناء تلك الرحلة فقدر انه سعي وراء سراب منذ البداية، عاد مرة أخري قاصدا البلدة وهي يشعر بالحزن العميق وتيه أكثر من

ذي قبل، في الطريق قال لأحدي النساء العجائز :

" هذه البلدة مليئة بالخرافات، ليس هناك من متصوف بذلك الجبل علي الأطلاق"

إبتسمت له وهي تقول بحروف متقطعة :

– بلي ، هناك متصوف زاهد ولكنك لن تراه من أول مرة، هو يظهر عقب بضع مرات من المحاولة

– كم محاولة علي فعلها، اثنان ، ثلاثة؟

– لا أدري ، أنت وحظك ولكن كل من حاولوا الذهاب مرارا وتكرارا رأوه في النهاية

لم يدري إن كان عليه تكرار المحاولة كما أوصته السيدة أم عليه ترك الأمر برمته ولا ينساق لنصيحة عجوز مخرفة ولكنه قد قطع طيلة هذه المسافة بحثا عن الحقيقة ولن يعود من دونها ولذا قرر ان يستريح اليوم في القرية ثم يعاود الذهاب مجددا.

إتصلت به (شهيدة) لتسأله عن رحلته وكيف يبلي فيها وهل تحسنت نفسيته عقب ذلك، أجابها بإجابات مقتضبة وقال لها بأنه لا يعلم متي سيعود بالضبط. وفي قرارة نفسه كان يرجو أن يتوفق في العثور علي الشيخ المتصوف الذي لا يعرف اسمه او شكله في أسرع وقت.

لم يكن بالمدينة مكان مريح للسكني ، بل فقط فندق صغير غير نظيف علي الأطلاق، إستراح فيه ليلته وتناول طعاما دسما علي العشاء حتي يتقوت لرحلة اليوم التالي.

في صباح اليوم التالي قرر أن يذهب مبكرا حتي لا يحل عليه الليل دون ان يجدا شيئًا، كان الجبل قد أصبح مألوفًا له ولذا اختصر الكثير من الوقت الضائع وهو يستكشف الجبل مرة أخري دون جدوي، صادف في طريقه سياح أوربيين يزورون المكان، بالتأكيد ليسوا بصدد البحث عن شيخ مجنون ، بالأحري هم هنا تلبية لدعوة صديق أو لرحلة سياحية، الجبل ليس من المعالم السياحية التي يشد لها الرحال كما ان السياحة في باكستان لأسباب امنية وسياسية غير مشجعة.

طالت به رحلة البحث وأرهقته البرودة الشديدة في الجبل ، أشعل نارا وتناول كوبا من الشاي شعر به يساوي الدنيا وما فيها ثم واصل رحلته، انتهي من بحثه مجددا دون جدوي، وأوشكت الشمس علي المغيب فعاد أدراجه إلي البلدة مرة اخري، قام بتأنيب نفسه أنه أستمع إلي كلام المرأة العجوز وصدق خرافة ليس لها وجود.

قام بالتوجه غلي فندقه الصغير لدفع حسابه وحزم حقائبه، صاحب الفندق رجل أربعيني وقور، سأله في هدوء:

- هل وجدت مدينتا جيدة ؟

- مدينتكم جيدة وهادئة ولكني لم أجد ما أبحث عنه.

- وما هو ؟

- عجوز متصوف يسكن الجبل

- ستراه، كم مره ذهبت ؟

- مرتان حتي الأن، وفي كل مرة لا أجد شيئا، لقد حفظت كل شبرا في الجبل تقريبا

- حاول مجددا، في النهاية ستراه.

- الكل يقول لي هذا ، ولكن بلا جدوي يبدو كأنه شيخ شبح.

- حاول غدا، لن يضير الأمر

شعر بأن صاحب الفندق يود إستبقائه ليلة إضافية حتي ينتفع فندقه بمال نظير الغرفة التي سيوجرها الليلة ولكن عقله سأله أن يستمع له فليس من المعقول أن المرأة العجوز والرجل الأربعيني سيتفقان علي مقالة واحدة.

في اليوم التالي صعد مجددا للجبل، اخذ يطوف كل ركن به وينادي بأعلي صوته (يا شيخ) ولا يجيبنه احد، انتبه انه في رحلة بحثه في الجبل كان يضيع صلاته ولا يقيمها في وقتها، قام بالتوضؤ بأستخدام النذر القليل من الماء الذي يحمله، ثم صلي في إتجاه القبلة علي الجبل كما حسبها من إتجاه الشمس

حينما أنهي صلاته قام بالبحث مجددا ولكن لم يوفق في العثور عليه، لربما كان الرجل قد مات منذ فترة بعيدة وبقت أسطورته هي القائمة ولربما انسد باب كهفه فلم يستدل عليه، او لعله هو يتهرب مني لقائه فلا يظهر حين يناديه

عاد ادراجه شاعرا بالغضب مرة أخري نحو البلدة، كان هناك حانة بسيطة يجتمع بها الشباب لتناول المشروبات الكحولية ، ولجها رغما عنه وكان ساقه قد قادته إليها عنوة، لم يذق خمرا في حياتي ولم يشتهيها قط حتي علي سبيل الفضول ولا يعلم لماذا جاء هنا.

جلس علي إحدي الموائد واتي النادل يسأله ماذا يود أن اشرب، شكره وطلب مياه غازية فقط مع صودا بدون أي شيء، لم يتحمس النادل كثيرا لخدمت ولكنه قال له حتي يعفيه من الحرج أنه سأدفع نفس قيمة البيرة المثلجة فمضي بسرعة ليحضر له ما أريد.

حينما عاد وضع المشروبات امامه وهو يتامله مليا، لم يكن يبدو له من سكان المدينة وبالتاكيد هذه اول مرة يرتاد الحانة فسأله بفضول :

- من أين أنت ؟

- قدمت من (إسلام أباد) ولكن أصولي من (بيشاور)

- جيد ولما أتيت إلي مدينتا الصغيرة ؟

- كنت ابحث عن شخص ما ولكني لم اجده

- غريبة ، المدينة صغيرة ومن السهل العثور علي أي احد فيها.

- هو لا يقطن المدينة ، هو يقطن الجبل.

- أجئت تبحث عن الشيخ ؟

- نعم ولم أجده، وجدت فقط أسطورته التي يرددها الناس.

- ستجده، داوم البحث وستجده

- هل رأيته أنت من قبل ؟

- لا.

- ولماذا تظن أنني سأراه ؟

- لأنك بحثت عنه أما أنا فلم أفعل

- لقد مللت من البحث

- حاول مجددا، كم مرة ذهبت ؟

- ثلاث مرات

- ويئست من ثلاثة فقط، هناك من حاول مائة مرة قبل أن يجده، أعرف شابا قطن في مدينتنا عاما كاملا قبل أن يظفر به

- عام كامل، لا استطيع.

- علي قدر رغبتك في الوصول له ستحاول.

كان فعلا يود في العثور علي شيخ الجبل، الكل أكد له وجوده ، إذن هو ليس وهما وبالتأكيد سيعثر عليه إن دأب علي البحث مرارا وتكرارا ولذا قام بمد أقامته بالفندق لمدة أسبوع كامل ثم ذهب في اليوم التالي للبحث عنه

أعياه البحث في الجبل طيلة النهار ودار في ذات الأماكن نفسها، حتي أنه فتش ما بين الشجيرات وتحت الصخور بحثا عن الشيخ، لم ينسي صلاته هذه المرة وسأل الله بتضرع أن يهديه للقاء الشيخ، تناول طعاما خفيفا حتي لا يثقله عن الحركة ، صاح مجددا في كل مكان " يا شيخ" " يا شيخ" ولكن بلا جدوي

هذه هي المرة الرابعة له، كم عليه البحث، لا يدري ولكن الكل أجمع انه سيراه، في اليوم الخامس عاد مجددا إلي الجبل، فوجيء بأنه هناك إمرأة امريكية الملامح ترتدي زيا عصريا مناسبا لمثل تلك الرحلات تنادي بالانجليزية كذلك علي الشيخ، حينما

لمحته ابتسمت له، هذه رفيقة بحث جيدة، رغم ولعه بالنساء لم يشعر بالرغبة في الاقتراب منها مع أن العذر والمبرر موجود، فأقتربت منه هي وهي تلقي التحية :

- السلام عليكم

- عليكم السلام

كانت تتحدث لغة الأوردو كذلك ولكن بشكل متكسر ولذا غير اعتقاده فيها حينما تأملها مليا، هي باكستانية كذلك ولكنها شعرها الأشقر قد خدعه، تبدو عصرية للغاية لربما ولدت ونشأت خارج باكستان، قدمت له نفسها قائلة

- إسمي (فرح) صحفية بمجلة (تايم) الامريكية، جئت هنا لعمل تقرير صحفي عن شيخ الجبل

- هل هذا اول يوم لك ؟

- نعم، وأنت؟

- خمسة أيام متوالية ولم أجده.

فغرت فمها بدهشة الأطفال وهي تقول :

- خمسة أيام ولم تجده، هل تظن أن وجوده خرافة ؟

- اود ان اعتقد ذلك، ولكن الجميع اكد لي انني سأجده إن بحثت مطولا، أنا أسميه الشيخ الشبح لهذا السبب.

- حسنا لنعقد إتفاق، أنا جئت من أجل تحقيق صحفي ، إن لم أجده أو افلح في إجراء حوار صحفي معه، فيمكنك أن تدعني أجري تحقيقا صحفيا عنك.

- للأسف لا أستطيع.

- لماذا؟

- هذه رحلة بحث أفعلها لذاتي، أنا لا ابحث عن الذهب أو عن حيوان نادر، او أستكشف قارة جديدة، انا ابحث عن إجابات لدي ذلك الشيخ.

- خسارة، أتمني ان نجده كلانا حتي لا اعود خالية الوفاض

انقضي اليوم بدون أن يجدا أثرا للشيخ فكان أن قررت الفتاة الإنصراف بعد أن تبادلت معه تفاصيل الاتصال بها لو غير رأيه، إلتقطت له بعض الصور علي سبيل الذكري بعد ان وعدته أنها لن تنشرها.

عاد ادراجه إلي المدينة وهو يتعشم أن يفلح غدا في العثور علي بغيته، كانت (شهيدة) قد بدأت تشعر بالقلق عليه ومن رحلته تلك وطلبت منه العودة مرارا حتي انها وعدته بأنها لن تقاطع خلوته لو اراد البقاء لوحده بالمنزل لو أراد ولكنه أبي ذلك وطلب منها ان تمهله وقتا إضافيًا.

شعرت بالقلق لهاجس نسائي أخر فطلبت منه أن يقسم لها أنه ليس مع إمراة أخري الأن ، فأقسم لها بذلك وكان لأول مرة صادقا.

في اليوم الذي تلي ذلك قرر الذهاب إلي الجبل بعزيمة اكبر، لن يعود حتي يجد الشيخ حتي لو مكث أياما وليالي هناك، أخذ طعاما يكفيه ليومان وماء وبوصلة واصطحب معه مصحفا وسجادة صلاة كذلك ثم ذهب يحمل همته العالية نحو الجبل.

كان الجبل كما عهده، لا شيء تغير به، لا يعلم أي مكان جديد يبحث به، ولكنه علي سبيل سد الذرائع تجول في أرجائه مجددا من سفحه إلي قمته وصاح بشكل متكرر مناديا الشيخ دون أن يجد لذلك جدوي، حينما غادرت الشمس كبد السماء، قام بإشعال نار خفيفة وجلس يستدفأ بها قبل أن ينام إلي جوارها من التعب، إستيقظ لوحده علي موعد صلاة الفجر فأذن لها ثم أقام ثم صلي بخشوع جعله يطيل في صلاته قدر الإمكان، حينما انهي تشهده سلم عن يمينه ثم سلم عن يساره ليجد ما هاله ، كان هناك رجلا عجوزا يصلي إلي جواره ، أسمر البشرة بشكل يميل إلي السواد، يرتدي ثوبا قديما ممزقا ولكنه بشكل ما ظل نظيفا أخضر اللون، وعليه لحية بيضاء طويلة وقد أسبل عمامته علي رأسه وتدلي منها جزء علي كتفيه، لا يعلم متي جاء ذلك الرجل ولا كيف إتخذ مكانه إلي جواره ولم يشعر به حتي ولا بنفسه.

وجد الرجل ينهي صلاته بالتسليم وكأنه هو الذي كان يؤمه، هل يكون هذا الرجل العجوز هو الشيخ الذي يبحث عنه طوال الوقت، أم يكون جنيا من سكان الجبل تمثل له علي هيئة بشر، شعر بالرهبة الشديدة ولكن الرجل التفت له باسما وهو يقول :

– لقد أستغرقت وقتا طويلا لتجدني، كنت انتظرك منذ زمن

انتفض جسد (عدنان) من هول المفاجاة غير المتوقعة، فمد الرجل يده مصافحا قائلا

– أنا الشيخ الشبح.

الفصل الثامن
(رحلة الشيخ)

لم يصدق (عدنان) نفسه وهو يسير وراء الشيخ الذي حلم طوال الوقت برؤيته، كان يراه شخصا عاديا، ولا يستحق هالة الأسطورة التي تنسج حوله ، ولكن رغم ذلك طريقة ظهوره العجيبة وعدم رؤيته خلال الأيام الماضية رغم البحث المضني عنه جعلت له هيبة لم تزل تخالج نفس (عدنان).

كان الشيخ يسعي به بين ركنات الجبل التي حفظها (عدنان) عن ظهر قلب، حتي أقترب منه من باب صغير لكهف، يكاد (عدنان) يقسم انه قد مره بهذا المكان أكثر من عشر مرات من قبل ولم يري ذلك الكهف أبدا وكأن قوة سحرية قد أخفته، توقف الشيخ عند المدخل للحظة ثم التفت إلي (عدنان) قائلا:

- تجرد من دنياك قبل الدخول

- ماذا تقصد ؟

قالها (عدنان) بدهشة فأشار الشيخ إلي حقيبته وهاتفه الجوال، القي (عدنان) الحقيبة جانبا وإن تمسك بالجوال في يده ، فصمت الشيخ ووقف لا يتحرك، أيقن (عدنان) أن عليه ان يتخلص من جواله كذلك، فوضعه في الحقيبة ثم اعطاها للشيخ ليحفظها، لدهشته حرك الشيخ الحقيبة كلها في الهواء وبحركة واحدة طوحها بعيدا لتسقط من فوق الجبل، هم (عدنا) بالتفوه باللعنة علي

الشيخ ولكنه تذكر ما قد جاء من أجله، لقد أتي من أجل المعرفة وهذا الشيخ هو من سيمنحه إياها ولا يهم ما سيخسره في سبيل ذلك وإن شعر بالحسرة علي الحقيبة رغم أن ما بها لا يساوي الكثير ، مجرد بعض المتاع القليل من حطام الدنيا الزائل وبقادر علي تعويضه فيما بعد.

ولكن ماذا سيحدث لو اتصلت به (شهيدة) علي جواله ووجدته لا يعمل أو مغلقا، ستصاب بالجنون حتما ولربما أبلغت الشرطة، ولكن هذا الخاطر لم يشغل باله كثيرا، فما هو علي وشك كسبه أكثر مما علي وشك خسرانه.

ابتسم وهو يواجه الشيخ الذي أشار له بالدخول من باب الكهف الصغير، فحشر نفسه وراء الشيخ وهو يدلف للداخل ، كان الباب بالكاد يتسع لدخول إنسان متوسط الحجم وعاني في الدخول ولكن عيناه اتسعت في دهشة حينما وجد نفسه بالداخل ووجد الكهف رحبا وكأنه عبارة عن منزل ضخم، كان سقف الكهف يمتد لخمسة أمتار علي الأقل إرتفاعا بينما يتسع بين جانباه حتي انه يشبه ملعبا صغيرا لكرة القدم، من الغريب أنه لم ينتبه احد سوي الشيخ لهذا الفضاء الواسع داخل الجبل، هذا الكهف يشبه قلب الجبل إن كان له قلب.

ورغم الإتساع الهائل للكهف من الداخل لم يكن يحتوي علي الكثير، هناك حشية فراش للنوم علي الأرض ممدودة قدر أنها تستخدم للنوم وللصلاة في ذات الوقت، هناك إناء به ماء، لا يعلم كيف يحصل الشيخ علي الماء في مكان مثل هذا، هناك إناء أخر به قطع من جبن الماعز وطبقا به خبزا باكستانيا جافا، وهناك

سلسلة طويلة مثبتة بالحائط طولها ثلاث امتار علي الأقل وتنتهي بقيد حديدي، رأي الشيخ ينتزع القيد وهو يضعه حول قدمه اليمني ليحكم غلقه فصاح به :

- ما هذا القيد، ولم تضعه حول كاحلك؟

ابتسم له الشيخ وهو يقول :

- هذا القيد فيه حريتي

كانت عبارته مبهمة ولم يكن (عدنان) يود أن يسمع عبارات مبهمة مجددا، كان يبحث عن إجابات واضحة لأسئلة مباشرة، هذا الغموض أخر ما يسعي له، ولكنه جاري الشيخ في حديثه سائلا:

- ماذا تقصد؟

- أقصد أن الحرية احيانا تكمن في القيود، حينما تقوم بعباداتك أنت تصبح عبدا لله ولكنك تتحرر من عبودية الدنيا ولذا فالحرية أحيانا تكمن في القيود ، حينما تعبد الله تصير حرا من أسر شهواتك ودنيتك

- ولكنك انت من وضع قيدك بنفسك، معني هذا أنها عبودية زائفة

- حقا ما تقول ! إذن تعال وحاول فك القيد بيداك

اقترب منه (عدنان) وهو يتلمس القيد الذي استحكم حول كاحل الرجل، لم يكن هناك من وسيلة لفكه إلا بتحطيمه بالمطرقة فقال له (عدنان) في دهشة:

- كيف فعلت هذا؟

- فعلت ماذا؟

- كيف اوثقت نفسك بهذا القيد الحديدي، هل هناك من مفتاح ما مخبأ هنا او هناك ؟

- ليس هناك من مفتاح ، أنت كنت المفتاح

- ماذا تقصد؟

- أقصد أني اضع قيدي حتي لا اخرج من كهفي ولا اقطع خلوتي ، العجيب أني بين حين وأخر أجد القيد ينفك من تلقاء نفسه فاعلم أنه هناك من يريدني بشدة للمساعدة وأخرج من الكهف بحثا عنه، وهذا الصباح انفك القيد فخرجت ووجدتك

- ولكني ابحث عنك كل يوم فلماذا وجدتني اليوم فقط ؟

- ربما لم تكن تبحث برغبة حقيقية من قبل ، أخلصت النية فأنفك القيد لدي

- ومن الذي اتي بالقيد من الأساس، من أنت؟

- أنا كما دعوتني الشيخ الشبح.

- أليس لك أسما تعرف به، أنت بشر أليس كذلك ؟

- ربما.

- ماذا تقصد بربما ؟

- في حياة سابقة كنت كل شيء ، بشرا وشيطانا وملاكا وحيوانا

- هل هذا تناسخ أرواح ام ماذا؟

- لا ولكن السلف يقولون خلقت الملائكة من عقل بلا شهوة وخلقت الحيوانات من شهوة بلا عقل وخلق الإنسان من الاثنان فمن غلب عقله شهوته كان أرقي من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله كان أدني من الحيوانات، وأنا كنت هذا وذاك وكنت أعلي وأدني.

- لا أفهمك، لماذا لا تتحدث بلغة مستقيمة ؟

- لغتي أنا مستقيمة، عقلك أنت هو المعوج.

- إذن علمني، دلني، كيف أعدل عقلي ؟

- هل متأكد بأنك مستعد لهذا، لربما لو عدلت عقلك مثلما فعلت معي، فلن تخرج من ذلك الكهف مجددا.

- لابأس، لو هذا سيضمن لي السعادة ورضا الله.

- الكهف رغم اتساعه لا يحتمل جسدان في وقت واحد.

- اذن علمني ما استطيع أن ابلغه حتي اواجه العالم بالخارج، أريد أن اتوب عن ذنوبي واتوقف عن فعلها، أريد أن اعود إلي الله ، اريد ان يتوب الله علي.

- لقد عدت ولقد تاب.

- كيف هذا، لا اظن أنني فعلت أو أنه قد رضا

- أنت هنا الأن وليس هناك في أرضك وهذا دلالة أنه قد رضي.

- وما دليلك علي ذلك ؟ لا أريد كلام وردي مرسل

- لو لم يرغب بلقائك لما يسر لك أن تخطو خطوة واحدة من دارك إلي هنا ، أنت جئت تبحث عني وهذا هو الظاهر لك ولكن في خبايا نفسك أنت جئت تبحث عن الله، سافرت أميالا وقطعت مدنا عديدة حتي تجده، واختبر الله صبرك علي تلك الرحلة فعسر لك الوصول ولكنك أبيت إلا أن تصل ، أنت خضت نفس رحلة موسي في البحث عن الحقيقة حينما قال والناقل عنه المولي سبحانه وتعالي" لا أبرح حتي أبلغ"

نظر له (عدنان) بدهشة قبل أن يقول له متوجسا :

- من انت ؟ هل أنت الخضر ؟

- أنا خضرك انت ، ربما لست خضر موسي

- حسنا، إذن لو كان الله قد قبلني مجددا، ما الذي علي فعله، هل اخرج من الكهف وأعود إلي حياتي السابقة، ماذا لو حدثت لي إنتكاسة ؟

- من الممكن أن تحدث.

- وماذا سأفعل حينها ؟

- ستتوب مجددًا

- ثم أعصي مجددا

- ثم تتوب مجددا

- حتي متي؟

-حتي تقابل الله وأنت علي جهادك مع نفسك ومع شيطانك.

- وماذا لو كان ختامها ذنب.

- يحتمل ولكن الله أرحم بعبده المجاهد من أن يختم له بشر، استمر وادعو الله وسيختم لك بحسن الختام

- تقول يحتمل، هذه العبارة تخيف، أريد أجابة محددة ، نعم أم لا ؟

- لو أردت إجابة محددة إمكث هنا معي بالكهف ، لن تفعل خيرا أو شرا طوال حياتك ولكنك لم تخلق من أجل هذا

- انت فعلت وربما حزت رضا الله.

- كل إنسان الزمناه طائره في عنقه، أنت وانا مختلفان، ذنبي ليس ذنبك وذنبك ليس لي.

- هذه الألغاز اللغوية العقلية لا أفهمها

- لأنه لازال بك أثر من حمل حقيبتك التي حملتها معك، القيناها بالخارج ولازال جزء منك متعلقا بها، ستكون جاهزا متي تخلصت منها كلية.

- حسنا، أنا معك ، فعلمني

- قم فتوضأ

اتبعه (عدنان) وهو يتوضأ من الإناء الصغير الذي أمامه ثم يتخذ مكانه خلف الشيخ الذي كبر للصلاة ثم قرأ القرأن، وخشع (عدنان) بصلاته وكان الكهف حاجزا عن كل هموم وكروب الدنيا، نسي نفسه من أين اتي وإلي أين

يذهب وأنغمس في صلاته، دعا الله ان يديم عليه هذه الحالة الوجدانية للأبد ، وكانت هذه الصلاة بداية لأشياء عديدة تلتها.

كان يقضي اليوم يستمع للشيخ ويتبعه في عباداته، عمله الصلاة علي احق وجهها، وصام معه يوما، علمه الصوم عن الذنوب بالكامل، فتح له مدارك اللغة الوجدانية، وعلمه حسن الدعاء، لم يدري (عدنان) كم مكث بالكهف، ظنها أيام معدودة او اسبوع حد أقصي وتعجب كيف لم ينفذ الماء او الطعام لدي الشيخ وهو بالكاد إناء واحد ولكنه لم يسأل هذا السؤال المنطقي وسط كل هذا اللامنطق الذي حوله.

كان الشيخ لا يزال في قيده و(عدنان) يشعر بأنه يدخل في قيد الحرية الذي وصفه له الشيخ، بدأ يصلي لأنه يحب الصلاة وليس خوفا من نار الأخرة، بدأ يحلو له الدعاء ويحسنه ، لم يعد يخاف من تفاوت الرزق ، فلم يعد يتحسر علي أمسه ولا يقلق بشأن مستقبله.

كان فقط ما يخشاه ان تحدث له إنتكاسة إيمانية حينما يخرج من كهفه، ولكن الشيخ طمأنه أنه طالما حصن نفسه بالعبادات فهي ستكون له درع وسيف لمحاربة أي غواية او معصية.

سأل شيخه مرة:

- كيف أتعامل مع الحياة التي أحياها، هل أزهد بها تماما أم أنغمس بها وأضيع أخرتي

أجابه الشيخ:

- الحياة جسر، والأخرة هي دار القرار وما عيش الا عيش الأخرة

- إذن تنصحني أن اترك حياتي الدنيا

- لم أقل هذا، قلت أنها جسر ولا يصح أن تبني دارا علي جسر.

تمعن في القول جيدا قبل أن يقول للشيخ :

- هل أعمل لدنياي وكأني أموت غدا.

- علي حسب ما تعمله ولكن إبتغ الأخرة ولا تنسي نصيبك من الدنيا، كما قلت لك الدنيا جسر فحاول أن تستمتع بعبوره دون أن تظن أنك مقيم به.

- وكيف أدع الدنيا وهي مزخرفة بالألوان أمامي ؟

- لا تدعها ، إغترف مما حلل وأترك ما حرم. أحل لك الف شيء وحرم عليك شيئا واحدا من كل صنف ، ألا يعد هذا نعمة من الله عز وجل.

- وكيف أكفر عن سيئاتي السابقة ، وهي كالجبال طولا ؟

- ينظر الله إلي توبتك فيستحسنها ويمحوها كأنها لم تكن أبدًا.

- كيف توقن من رحمة الله هكذا ؟

- لأني أري من مظاهر رحمة البشر، الضحية تغفر لمعذبها واهل المقتول يغفرون للقاتل وحتي زوج المرأة يغفر لعشيقها وما رحمتهم بجزء من المائة من رحمة ربك ، فكيف تخاف وأنت تعود إليه.

بعد فترة من السكينة والطمأنينة التي خالجت قبله، قال لشيخه متسائلا:

- هل تعتقد أني مستعد لمواجهة العالم الأن ؟

- لا ولن تكون مستعدا أبدا، نحن نواجه ثم نعرف الإجابة لاحقا ، ولكنك أقوي مما تظن.

- وكيف أعرف الإجابة ؟

- تعال معي.

لاحظ أن الشيخ يفك قيد كاحله مره أخري وود لو يعرف كيف يفعلها كل مرة ولكنه لم يجرؤ علي السؤال ، ثم تبع الشيخ إلي خارج الكهف في استسلام، كان الشيخ أول من خرج، ثم تلاه (عدنان) وحينما أصبح (عدنان) بالخارج لم يجد الشيخ وكأنما تبخر في الهواء، فنظر مرة أخري للخلف فلم يجد مدخل الكهف كذلك، طرق جدار الجبل بيده فلم يسمع أي صوت

لدهشته كذلك وجد حقيبته التي ألقاها الشيخ بعيدا ملقاة أمام الكهف، تري هل كان يتخيل كل هذا ويتوهمه، فلا شيخ ولا كهف ولا شيء من هذا كله حدث، لا يمكن، هو عاش أياما وليالي عديدة هناك ويعلم أن ما رأه قد راه حقا، لا يوجد وهم أو حلم يتجسد بكل هذا التفاصيل، وقلبه الذي تغير نحو الأفضل خير دليل علي ذلك

صاح بأعلي صوته مجددا مناديا الشيخ ولكنه لم يسمع ردا، فتح حقيبته بسرعة ليري أشيائه، كان طعامه قد فسد ، والهاتف الجوال قد انتهت بطاريته ، ضغط عليه ليفتحه، عمل معه للحظات قليلة قبل ان ينطفأ مجددا ، هذه اللحظات أعملته انه التاريخ قد تغير، مرت ستة أيام كاملة منذ دخل إلي الكهف. ستة أيام وخرج في اليوم السابع، لهذا الرقم سحر خاص، في سبعة أيام خلق الله الكون بأسره بسماواته وأراضيه، وفي سبعة أيام خلق فردوس روحه المبعثرة.

إذن ما حدث حقيقة وهو قد قابل الشيخ فعلا وعايشه طوال المدة السابقة، وحصل منه علي إجابات لأسئلة عديدة في عقله، كان كمن عاد من حجه ويعلم أنه قد سقطت كل ذنوبه.

شعر بقلق (شهيدة) عليه فأسرع يهبط الجبل في سرعة ويعود إلي فندقه الذي تركه، إندهش صاحب الفندق حينما رأه، وهو الذي ظنه لن يعود مجددا، كانت ذقنه قد استطالت قليلا وملابسه متسخة نوعا ما ولكن صاحب الفندق تطلع في وجهه مليا فسأله (عدنان) متوجسا وهو الذي لم يري مرآة منذ إسبوع :

- ما بك ؟

- وجهك منطلق وكأنه إزداد نورا.

ابتسم (عدنان) وغمره الإرتياح في نفسه وهو يقل له :

- حفظك الله، هل لي بشاحن لهذا الجوال ؟

- بالطبع.

قام بشحن هاتفه بسرعة وانتظر بجواره دقائق قبل ان يتصل ب (شهيدة) علي الفور ، حينما أتاه صوت (شهيدة) كانت مشاعرها مختلطة بين أشياء متناقضة ، فرحة بسماع صوته وغاضبة لإنقطاعه عنها ومتلهفة لمعرفة اخباره ، ووسط كل مشاعرها تلك ، شعر لأول وهلة أنه يود أن يقولها لها من كل قلبه فهتف بها قاطعا كل المشاعر كسكين يسري في الزبد:

- (شهيدة) أنا أحبك، وأخيرا وجدت نفسي.

الفصل الأخير
(اسمها ريناتا)

ذلك الخط الفاصل بين العتمة والنور عبره في ستة أيام، تلك الأيام التي قضيتها مع الشيخ الذي لا يعرف أسمه ولا هويته، من أين جاء وإلي أين ذهب غيرت في حياته الكثير.

حينما عاد إلي حياته المألوفة التي تركها كان هو من تغير ونظرته إلي كل شيء تغيرت، صار أقوي وأفضل وأرقي، علاقته بالجميع تحسنت علي نحو بات ملحوظا، انضم لعمله الجديد في المستشفي وأبلي فيه بلاءا حسنا شهد له الجميع كما أنه قد انضوي في التحضير لرسالة الدكتوراة التي ماطل فيها كثيرا بل وشجع (شهيدة) علي دراسة الماجستير كذلك ووعدها بأن يحضر خادمة مرة واحدة أسبوعيا حتي يتسني لها الوقت اللازم للدراسة دون ان تهمل في بيتها او يؤثر علي عملها

بالنسبة لعيادتها الخاصة فقد بدأ يصبح لها روادها المميزون من الجيران ومع الوقت بدأت تكتسب اسما قويا،حرص هو بناء علي نصيحة (شهيدة) أن يجعل يوما مجانيا كل إسبوع للكشف وذلك حتي يسبغ الله خيره علي الجميع.

حياته مع الله كتب لها ميلاد جديد، صار بصره معلق بساعة الحائط علي الدوام في إنتظار الصلاة بعد الصلاة، بدأ يشعر باللذة في غض بصره وفي حفظ فرجه والعجيب ان شهوته ظلت كما هي وان استحوذت (شهيدة) عليها كلها.

قالت له إبنته (هينا) وهي تلاعبه مرة:

- أبي ، أريدك ان تحضر لي زوجا ؟

ضحك من كل قلبه لبرائتها بنت الاربع سنوات وهو يسألها:

- زوجا يا (هينا) أنت اربع سنوات فقط ،فكيف ستتزوجين ؟

- عادي، سنأخذ غرفتي لنتزوج ويمكن ل (عظيم) النوم معكم أنت وأمي

- حسنا وما شكل زوجك الذي تريديه مني ؟

- أريده شبهك يا أبي

أحتضنها وهو يكرر ضحكه ، لو كانت قد قالت له عبارتها منذ شهور لتضايق من أنها تريد زوجا شبهه، فقد كان أبعد ما يكون عن صورة الزوج الذي يتمناه لإبنته ولكنه الأن يشعر بالرضا عن ذاته ولم يتضايق من عبارتها، تركتها وذهب ليلاحظ (عظيم) الذي أنهمك في تركيب بعض الأشياء المتناقضة مع بعضها البعض ليسأله :

- عظمة الملك (عظيم الأول) يبغي أي مساعدة مني

اجابه عظيم في جدية:

- نعم أيها الجندي، أريد صنع سيارة مقاتلة حتي أغزو بها العالم.

نظر (عدنان) لساعته وهو يقول في تعجب :

- الساعة الأن الثانية، هل يمكن ان نؤجل غزو العالم لما بعد الغداء ؟

- حسنا أيها الجندي، الغداء أولا

شعر بالسعادة وهو يلاحق أطفاله بناظريه وهما يعدوان تجاه مائدة الطعام، علاقته بهما تحسنت كثيرا وود لو لم يسافر من البداية وان يعوض الوقت الذي فقدوه اياه معهم في السنين القادمة، بدأت حتي (شهيدة) تشعر بالغيرة من اهتمامه الزائد بأولاده ولكنها اخبرها وهو يلثم يدها قائلا :

- أحبهم لأنهم منك يا (شهيدة)

قديما قالوا لا تعبدوا الله ليعطي بل إعبدوه ليرضي فأن رضي أدهشكم لعطائه، وأصبح (عدنان) يوقن أن الله قد رضي عنه لأنه رضاه بما وهبه، أصبح يحب (شهيدة) حقا ويعجب بكل ما يفعله اولاده، صار عمله بالنسبة لي أفضل مما تخيل وسارت معه الأمور علي أفضل مما خطط له، كانت مشيئة الله وأقداره قد سارت به إلي خير مما أبتغي.

بين حين وأخر كانت تواتره صورة (ريناتا) ويتسائل أين هي الأن، دعا لها الله في صلاته بالرحمة والتوبة وبالخير الكثير، لم يكرهها ويشفق عليها في نفسه كثيرا كثيرا، هو كان يعرف الطريق إلي الله ولكني ضله وتركه بإرادته ولكنها لا تعرف الله أو الطريق إليه وكانت تحتاج فقط من يصطحبها له بإرادتها أو حتي عنوة حتي تجده.

هي لديها قلب قد يكون أفضل منه، لم تترك كلبا تزهق روحه كي تنفذ هي بحياتها ، بل ضحت بحاضرها كله في سبيل كلب ضعيف لا ولي له، قال السلف أن إمراة من بني إسرائيل ستدخل النار في قطة حبستها فلا هي أطعمتها ولا

تركتها تأكل من خشاش الأرض، فماذا عن تلك الباغية من بني الأصفر ألا تستحق أن توضع في ميزان رحمة الله لرحمتها بكلب.

حاول تحسس اخبارها، أرسل لها رسائل عدة ولكنها لم تجيبه، مع الوقت بدأ يأتيه رد ولكن من رجل ما أبلغه انه اشتري هذا الخط الخاص بالجوال، ولا يعلم شيئا عن صاحبة الخط الأولي.

حاول أن يعرف كيف يصل لها، كتب اسمها عدة مرات علي الأنترنت فلم يطالعه شيئ، قبل أن يستشير صديقا له فيخبره أن هناك مكتب تحريات خاصة بالصين يعمل في تقفي أثر المفقودين ويمكن لهم العثور عليها لقاء مبلغ زهيد

دفع المبلغ عن طيب خاطر ومنحهم صورة لها ثم انتظر إسبوعا قبل أن يأتيه ردهم أن الفتاة المذكورة قد سافرت من (سلطنة عمان) منذ وقت قصير عائدة مرة أخري إلي (الصين) حيث تعرضت للإعتقال هناك لفترة علي يد سلطات الأمن الصينية قبل أن يطلقوا سراحها وهي تعيش الأن في مدينة (شنغهاي) الصينية وتعمل في مدينة ملاهي (ديزني لاند) الصينية

شعر بأنه مدين لها، كما انه قد حصل علي فرصة جديدة ، هي أيضا تستحق فرصة جديدة بالحياة، قام بحجز تذكرة لنفسه إلي الصين وسافر علي الفور هناك، لم يكن العثور عليها وسط مدينة الملاهي شيئا سهلا، ولكنه بعد بحث دام نصف يوم كامل ، وجد ضالته أخيرا، كانت تقف هناك وتعمل بائعة علي ماكينة غزل البنات، ترتدي فستانا ورديا وتعكص شعرها علي هيئة ذيل حصان، بدا ان عملها

الجديد متنافرا مع ما كانت تفعله من قبل، كانت مرحة وودوة مع الأطفال حتي أنه تصور أنها ستكون أما رائعة بالمستقبل، كان كلبها الذي رأه بالصور قريبا منها يلعب ويلهو، آه منه ذلك المحظوظ لو يعلم انها باعت حياتها من أجله لعبدها حبا .

في وسط حركاتها المحمومة لمحته من بعيد، دققت النظر وهي تنظر له بعجب وتتأكد من شخصه، فأقترب منها ببطء وعلي شفتيه شبح إبتسامة تتصاعد

حينما رأته تحولت دهشتها إلي فرحة غامرة وهي تصيح في فرح :

- (عدناان) ... (عدنان)

انطلقت تعدو نحوه تاركة العربة والأطفال وكلبها يعدو ورائها وهي تفتح ذراعيها لتحتضنه وخشي هو من إحتضانها له فأخذ حقيبة يده ووضعها أمام صدره حتي يحول بينها وبين ذلك، ظنته في البداية متضايق منها فقامت بمط شفيتها مثل جراء الكلاب الصغيرة وهي تقول:

- هل أنت متضايق مني؟

نطقت عبارتها بالانجليزية المكسرة وتعجب أنها قد نجحت أخيرا في تعلم اللغة قبل ان يقل لها :

- جيد انك تعلمت الأنجليزية قليلا

أخرجت هاتفها المحمول لكي تشغل التطبيق الذي تحمله ولكنه اوقفها بإشارة من يده، كان قد أعد بضع بطاقات عليها عبارات أراد قولها لها باللغة الصينية ، فأخرجها من حقيبته وهو يفتح أولها ليريها اياها كانت تقول :

– في البداية أنا أسف علي أي حزن أو ضيق سببته لك.

ابتسمت وهي تهز رأسها موافقة علي كلامه قبل ان يخرج البطاقة الثانية وكان قد كتب بها :

– لقد وجدت نفسي أخيرا وأريد أن أعوضك وأساعدك أن تجدي نفسك.

ضحكت وهي تشير إلي جسدها بمعني أن نفسها موجودة، فأخرج البطاقة الثالثة وكان قد كتب عليها :

– هذه الحقيبة مني لك هدية.

منحها حقيبته السوداء الصغيرة ففتحها بفضول لتجد كميات من النقود من فئة الدولار الأمريكي مصفوفة الي جوار بعضها ففغرت فاها وهي تشير له قائلة بما معناه :

– لماذا ؟

لم يجبها بشيء ، فلم تكن معه بطاقة تفسر ما يريد قوله فأشار لها إلي السماء وصمت، نظرت للسماء وهي تتأملها في براءة قبل أن تنظر له وتخرج لسانها المعهود ، ثم تهرع لتضع الحقيبة داخل عربتها وتعود وهي تحمل حقيبتها التقليدية التي تحملها علي ظهرها وتمنحها له، كانت تعطيه إياها هدية بما بداخلها، ضحك

لأنه اخيرًا سيعرف سر الحقيبة وما بها، مد يده يصافحها وفعلتها هي بحرارة قبل أن يشير لها بيده قائلا :

- وداعا يا (ريناتا)

اشارت له مودعة وهي تعود لعربتها فرحة مثل طفل في ليلة العيد :

- وداعًا يا (عدنان)

غادرها (عدنان) مسرعًا حتي لحق بأول حافلة تغادر المدينة ثم جلس ينظر من النافذة في سعادة وهو علي يقين ان المال الذي منحها إياه سيعطيها فرصة أخري في الحياة قبل أن يحتضن الحقيبة التي بين يديه في رفق ثم يفتحها وينظر للداخل

نظرة واحدة كان كافية لأن يضحك. ويضحك ويضحك

ويستمر في الضحك.

تمت بحمد الله